الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان
كلية الآداب واللغات

تخصص حضارة اسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر
الموسومة بـ:

الحياة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي على عهد الموحدين

❖ من إعداد الطالبة:
✓ عميمر سهام

❖ تحت إشراف :
✓ أ. لعريبي اسمهان

السنة الجامعية: 2013 ـ 2014

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان
كلية الآداب واللغات

تخصص حضارة اسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر
الموسومة بـ:

الحياة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي على عهد الموحدين

❖ من إعداد الطالبة:
✓ عميمر سهام

❖ تحت إشراف :
✓ أ. لعريبي اسمهان

السنة الجامعية: 2013 ـ 2014

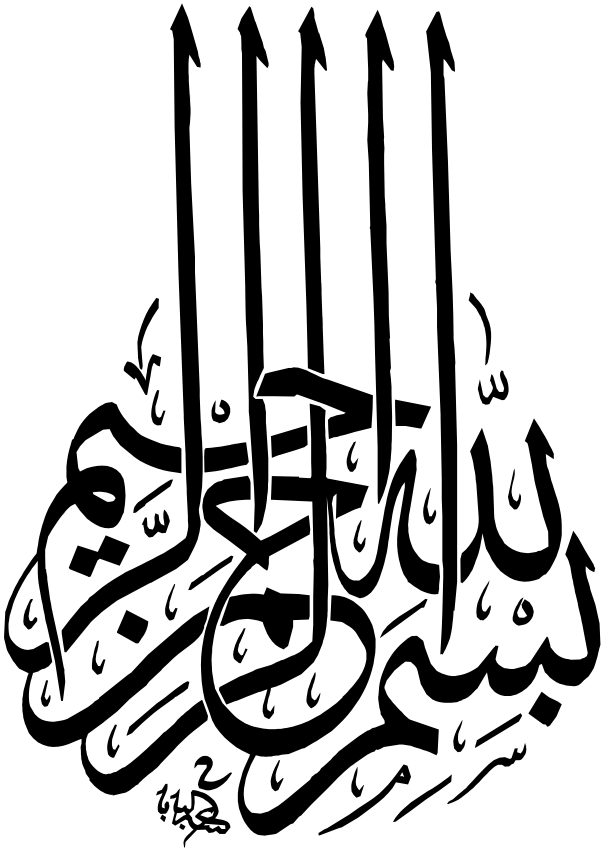
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والشكر لسيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لتبليغنا الرسالة ولله الحمد بتشريفنا بنعمة الإسلام.

أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد على انجاز هذا العمل، وفي تذليل ما واجهته من صعوبات.

وأخص بالذكر الأساتذة المشرفة "العربي اسمهان"، التي لم تبخل علي بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عونا لي في إتمام هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر الخاص إلى أخي عبد الباسط وفاطمة الزهراء على كتابة وطباعة هذه المذكرة، وعلى من شجعني وساندني في لحظات يأسي.

الشكر كل الشكر لك صديقتي العزيزة شميسة.

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى:

من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعاء، إلى أغلى إنسان في هذا الوجود

"أمي الحبيبة".

إلى من عمل بكد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه الآن **"أبي العزيز"**

أطال الله لي.

إلى القلوب الرقيقة والنفوس البريئة، إلى رياحين حياتي إخوتي سمير وسميرة، محمد وفراح.

إلى توأم روحي وشريكي في طموحي **"زوجي عبد القادر".**

إلى من أفتقده، ويرتعش قلبي لذكره، إلى من ترك حزنا عميقا في نفسي **"أخي إسماعيل رحمه الله"**

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات، ومن سأفتقدهم صديقاتي:

صليحة ولطيفة وشفيقة وإيمان.

سهام

مقدمة

تعتبر دراسة الحياة العلمية والثقافية لدولة الموحدين بالمغرب العربي الإسلامي موضوعا هاما، إذ أن الكثير من المؤرخين، ركزوا في بحوثهم على الجانب العسكري والسياسي للدولة الموحدية، حيث أنجزت البحوث حول قيامها وسقوطها وشخصيات خلفاءها ، أما الجانب الاجتماعي والعلمي والثقافي فالبحوث فيه قلية.

عملت الدولة الموحدة منذ قيامها على توحيد بلاد المغرب، بكل أقطاره تحت سلطة دينية وسياسية واحدة، وفي فترة حكمها، شهدت الحياة العلمية نشاطا وازدهارا ملموسا بالمغرب، وأخذت مراكش مكانتها العلمية بين كبريات العواصم، فتبع العديد من الفقهاء والأدباء والعلماء الذين كانوا بمثابة الدعامة التي قامت عليها الدعوة الموحدة، وهذا ما يؤكد أهمية الموضوع.

ومن هنا تتجلى لنا إشكالية البحث التي تتمحور حول فضل الموحدين، في ازدهار العلوم في بلاد المغرب وإضافاتهم في هذا المجال، ومن هذا المنطق نطرح التساؤلات التالية:

- ما هي العوامل المؤثرة في الحياة العلمية بالمغرب في عهد الموحدين؟
- ما واقع الحركة العلمية بدولة الموحدين؟
- ما هي المؤسسات والمراكز العلمية التي أنشأها الموحدون؟
- ماذا أضافوا للعلوم التي كانت شائعة آنذاك؟

تمكن أهمية الموضوع في كونه يسلط الضوء على جانب مهم من الجوانب الحضارية، لمرحلة تعتبر من أزهى العصور التي مرت بها بلاد المغرب الإسلامي.

اعتمدت في بحثي هذا على المنهج التاريخي، المعتمد على جمع معلومات تاريخية وحقائق وسردها وتحليليها من اجل الوصول إلى طرح فكرة متكاملة حول الموضوع.

ومن بين الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث في هذا الموضوع، هي قلة المصادر والمراجع المتعلقة به، إضافة إلى تضارب الآراء حول بعض الأحداث التاريخية.

وتطلبت طبيعة الموضوع الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- **كتاب "المعجب في تخليص أخبار العرب"**: صاحبه عبد الواحد المراكشي (613هـ-1216م) ، ويعتبر من أهم المصادر التاريخية، وهو يتناول تاريخ بلاد المغرب منذ الفتح، وحتى أواخر الدولة الموحدية، وهذا ما يزيد من قيمته كونه عاصر الفترة التي نريد دراستها كما يتميز هذا الكتاب بنوع من الموضوعية وذلك أنه ألف في بغداد بعيدا عن نفوذ، وتأثير السلطة الموحدين، وهو يفيد في كل مراحل نشأتها وتطورها.

- **كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" الجزء الخاص بالموحدين**: مؤلفه أبو العباس احمد بن محمد المعروف "بابن عذاري المراكشي"، قام بتحقيقه مجموعة من الباحثين.

وهو مصدر هام لكثير من الأحداث في أواخر الدولة المرابطية، إلى انهيار الدولة الموحدية ذلك أنه كان شاهدا على هذه الفترة، كما اعتمد في مؤلفه على الكثير من المصادر التي هي في عداد المفقودة حاليا، ككتب ابن صاحب الصلاة، وابن القطان، وابن الصيرفي.

- **كتاب "الأنيس المطرب بروضي القرطاس في أخبار المغرب، تاريخ مدينة فاس"**: لصاحبه علي بن احمد بن عمر بن أبي زرع القاسي، ويتناول في هذا الكتاب تاريخ المغرب الأقصى، تضمن بداية بدولة الأدارسة، مرورا بدولة أخرى منها الدولة الموحدية وينتهي بالدولة المرينية.

- **كتاب "حضارة الموحدين"**: وهو في جزء منه عبارة عن كتاب بعنوان " العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين"لمؤلفه محمد المنوني، ويتناول فيه ما وصلت إليه العلوم والمعارف في عصر الموحدين، من نضج وازدهار وقد اعتمدت عليه كثيرا، نظرا لما يحتويه من معلومات تتعلق بالموضوع.

- **كتاب "الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين الموحدين": للدكتور** حسن علي حسن، يدرس تاريخ المغرب الإسلامي، وكيف قامت دولة الموحدين، على أنقاض دولة المرابطين، وينقسم الكتاب من حيث واقع الأحداث إلى **فترتين.**

وقد اعتمدت على خطة بحث تضمنت بعد المقدمة مدخلا للموضوع وفصلين ،جاء في المدخل لمحة عامة عن الدولة الموحدية أولا **تأسيسها ثانيا** المراحل التي مرت بها حتى سقوطها، وثالثا مقومات الحياة العلمية والثقافية في بلاد المغرب على عهد الموحدين، وتضمن الفصل الأول المراكز العلمية والمؤسسات الثقافية في بلاد المغرب العربي الإسلامي، وقسمته إلى **مبحثين** تناولت في المبحث الأول المراكز العلمية وفي المبحث الثاني المؤسسات الثقافية والعلمية أما الفصل الثاني فتضمنت العلوم التي انتشرت في عهد الموحدين، وقد ضم هو الأخر **مبحثين** اشتمل المبحث الأول على العلوم النقيلة، وشمل البحث الثاني العلوم العقلية، تم انتهيت بحثي **بخاتمة** استنتاجية ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها، كما دعمت المذكرة **بملاحق** وهي عبارة عن خرائط تتعلق بالموضوع.

مدخل:

1. تأسيس الدولة الموحديـــة.

2. المراحل التاريخية التي مرت بها حتى سقوطها.

3. مقاومات الحياة العلمية والثقافية في بلاد المغرب على عهد الموحدين.

1. تأسيس الدولة الموحدية:

كانت دعوة الموحدين، في بدايتها تهدف إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلت توحيد الله عز وجل من أهم مبادئها، كما كان لهم هدف سياسي، وهو القضاء على الدولة المرابطين التي كانت قائمة انداك، وتوحيد بلاد المغرب الإسلامي، وبما أن المجتمع المغربي كان كغيره من المجتمعات، يضم فئة ضعيفة ماديا، وفئة حاقدة على الأسرة المرابطية الحاكمة، فقد ساعد ذلك الموحدين في إقناع عدد كبير من أفراد المجتمع، بأن الحكم من أيديهم في أقرب وقت.[1]

امتازت رئاسة الدولة الموحدية في البداية، بإمامة مؤسستها ومنشئها الأول المهدي محمد بن تومرت، ولم تتخذ في حكمها مدى العشرة أعوام، التي لبثها المهدي على رئاستها أي طابع آخر، وكانت الحكومة الموحدية عندئذ، عبارة عن حكومة ثيوقراطية (حكومة دينية) يعاون الإمام فيها، أصحابه كانوا بمثابة وزراء، وكانوا يضطلعون بمنشوره الإمام في حلائل الأمور، بيد أنه كان يوجد إلى جانب هؤلاء، أفراد آخرون من ذوي النفوذ، كان الإمام يرجع إليهم في تدبير الشؤون.[2]

أ. التعريف بالمهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية:

هو محمد بن تومرت الهرغي، ولد في مدينة ايجلي، وتكتب أيضا ايكلي[3]، من أسرة ذات علم ودين، ولم تعط المصادر التاريخية نبدة موسعة عن أسرته، وإنما وردت الأخبار التي تدل على أنها كانت من أوسط القوم، غير بارزة الجاه والثروة، وكانت على مكانة دينية، حيث يقول ابن خلدون: "وكان أهل بيئة أهل نسك ورباط".[4]

---

[1]- علي أبي زرع القاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب والتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1973، ص 172.

[2]- محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1964م، ص ص 615-616.

[3]- أبو بكر بن علي الضهاجي: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 2004، ص32.

[4]- علي محمد الصلابي: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في شمال الإفريقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص254.

وقد اختلف الكثير من المؤرخين في تحديد نسبة، فبعضهم قال بأنه عربي، يرجعون نسبه إلى البيت النبوي بقولهم: "هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنهم "، والبعض الآخر يجعل نسبه مختلطا بين البربر، والعرب [1]، ولكنهم اتفقوا على صيغة واحدة وهي أنه محمد بن تومرت السوسي الهرغي.[2]

ومثلما حدث اختلاف حول نسبه، وجد خلاف آخر حول ميلاده، حيث يرى ابن الأثير، مولده كان في سنة (469هـ/1076م) أو (473هـ/1080م).[3]

تلقى دراسته الأولية بالكتاتيب في قريته، فتعلم القرآن حفظا ورسما وقراءة على عادة المغاربة، كما وصفها ابن خلدون في قوله: "أما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان، الإقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، إلى أن يجاوز واحد البلوغ إلى الشبيبة"، وظهر اهتمامه بالعلم منذ شبابه، اذ كان يلقب آسفو، ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج في القناديل في المشرق لملازمتها.[4]

بدأت رحلته في عام 500هـ، في طلب العلم، وجال معظم العواصم الإسلامية في المشرق الإسلامي[5] وبعد أن انتهى ابن تومرت من دراسته في المشرق قرر التوجه إلى بلاد المغرب، وكلما مر على قرية أو مدينة، أخذ يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، ويصحبه في ذلك جمع من الطلبة والمريدين[6]، وقصد طرابلس بحرا حتى بقي مدة يعلم الناس العقيدة على الطريقة الأشعرية، تم تم انتقل إلى المهدية بتونس، واتخذ أحد مساجدها مقرا يدرس به العلم مركزا على علم الأحول.

---

[1]- علي محمد الصلابي: المرجع نفسه، ص 253.

[2]- عمر راكة: علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس، رسالة ماجيستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان 2011، ص 26

[3]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج11، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1966، ص 354.

[4]- علي محمد الصلابي: المرجع نفسه، ص 255.

[5]- ابتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف 1985 ص 11.

[6]- نفس الرسالة السابقة ص 33.

ثم اضطر إلى الخروج إلى المنستير، ومن ثم توجه إلى قسنطينة ثم بجاية التي وصلها سنة 511هـ إلى أن وصل إلى ملالة (قرب بجاية)[1]، وفيها التقى بعيد المؤمنين بن علي، الذي كان متوجها إلى الشرق لطلب العلم[2]ولكن ابن تومرت أقنعه بمرافقته لبلوغ هدفه في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقال له: "...تصحبني وتعينني على ما أنا بصده، من إماتة المنكر، وإحياء العلم، وإخماد البدع." [3]ثم بايعه عبد المؤمن بن علي على مؤازرته، في الشدة والرخاء والأمن والخوف والعسر، واليسر، والمكره[4]. ومن ملالة سار حتى وصل إلى تلمسان، ومنها إلى فاس ثم إلى مراكش، لا يغير من سيرته، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أن ابن تومرت خالف أهل السنة في كيفية دعوة أولي الأمر والحكام، ويتشبه بالخوارج، حيث أغفل كثير من الباحثين، هذا الأصل في الدعوة الموحدية، ذلك أنه خرج عن الحكام المرابطين، ولاة الأمر الشرعيين في بلاد المغرب قولا وعملا[5]وقد اتخذ حجة المهدوية، وقال أنه هو المهدي الذي وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بخروجه في آخر الزمان.[6]

ومن الذين انضموا إلى ابن تومرت، ولعبوا دورا هاما في دعوته عبد الله الونشريسي، الذي كان على درجة كبيرة من الثقافة. وقد اتفق معه على أن يتيسر على ما هو عليه من العلم والفصاحة عن الناس، ويظهر العجز والغباء. والتعري من الفضائل مما يشتهر به عندهم، على أن يداوم على أخذ العلم في السر، ثم يفصح عن ذلك دفعة واحدة، عندما يطلب منه ابن تومرت ذلك، فيكون بمثابة المعجزة، فيصدقه الناس، ويزداد ايمانهم بدعوته، فقام الونشريسي بذلك، وأتقن الخداع والمنكر، والحيل والكذب عليهم.[7]

---

[1]- ملالة: هي مدينة من أعمال المغرب الأدنى بالقرب من بجاية، الحمودي، معجم البلدان، ج5، دار صادر للطباعة، لبنان 1979، ص 189.

[2]- علي محمد الصلابي: المرجع السابق ص 264.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ط1، ص 137.

[4]- علي محمد الصلابي: نفس المرجع، نفس الصفحة

[5]- نفس الرسالة السابقة ص 31.

[6]- الصلابي: نفس المرجع ص 275.

[7]- حسن علي حسن: المرجع السابق ص 38.

ب. منهجه في الدعوة:

إن ابن تومرت لكي يضمن لدعوته النجاح، والانتشار سلك الخطوات التالية:

- إظهار للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقمصه لأساليب والشخصيات المصلحين، اتخذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منهجا له، وبدأ بهذا النهج منذ وقت مبكر، وذلك حينما كان بمكة بعد عودته من العراق، حيث اشتغل تجمع المسلمين فيها، حتى ناله شيء من الأذى بسبب ذلك، وكان يهدف من وراء اظهاره لهذا المنهج إلى تحقيق غرضين، أولهما هو لفت أنظار الناس إليه من البلاد التي مر بها، أما الثاني فهو تكوين بعض الخلايا السرية في تلك البلاد من الأفراد الذين يعجبون بمنهجه، وذلك ليكونوا دعاة إلى أفكاره ومبادئه، وقد نجح في ذلك.[1]

ولما وصل إلى بلاد المغرب، انتقل من الجانب التنظيري في دعوته إل الجانب العملي، حيث جد في تكوين قاعدة لدعوته، وكانت وسيلته المعلنة في ذلك، هي إقامة حلقات للتدريس، ينشر فيها أفكاره ليستقطب بعد ذلك من يتقبلها من تلاميذه، وما إن حل ببلاد المغرب الأدنى حتى كثر حوله المؤيدون والأنصار، فاختار بعضهم ممن يتوسم فيهم القبول المطلق لدعوته، ومخايل الذكاء، والنجابة، وتوجه بهم إلى بلاد المغرب اللأقصى.[2]

- **تحديد موقفه** من دولة المرابطين، والتي كانت تبسط سلطانها السياسي على بلاد المغرب، ذلك لأن ابن تومرت لم يرد أن يحدد موقفه منها، إلا بعد أيشيع بين الناس ذكره، ويكون قاعدة شعبية يتكئ عليها في ساعات الخطر، فلما اطمأن إلى وجود هذه القاعدة، و إلى أنه لم نكرة عند كثير منهم، أعلن رأيه في دولة المرابطين متخذا الأمر بالمعروف ستارا لتحقيق غايته وطريقا لإظهار مفاسد هذه الدولة، فيبدأ بالطعن في عقيدة المرابطين، ووصفهم بالتجسيم، والكفر، والنفاق ، كما قال أتباعه بأن غرورهم، ومقاومتهم، أوجب من حرب النصارى والمجوس، وبهذا فقد كان على مقدرة عظيمة من التخطيط، وكانت خطواته محكمة نحو تأسيس قواعد دولة الموحدين، وساعده

[1]- علي محمد الصلابي: المرجع السابق ص 269.

[2]- الصلابي: نفس المرجع ص 270.

على ذلك ما كان يتسم أفراد القبائل البربرية من سذاجة وجهالة[1]، فضلا عما كان يملكه ابن تومرت من أسباب القوة من دهاء وحزم وعلم وذكاء، وقدرة فائقة على التنظيم والتأثير.[2]

2. المراحل التاريخية التي مرت بها الدولة الموحدية حتى سقوطها:

أ. خلافة عبد المؤمن بن علي: (526هـ-558هـ):

هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي الكومي، يتصل نسبه ولد في عهد "يوسف بن تاشفين سنة 478هـ، في قرية تعرف "بتاجرا"[3]، من أعمال تلمسان[4]، كان أبوه يصنع الفخار[5]، نشأ محبا للقراءة والكتابة، يلازم المساجد لتلاوة القرآن[6]، ثم قرر الرحلة إلى المشرق لطلب المزيد من العلم، فالتقى بأستاذه ابن تومرت، فأتم دراسته على يده، واستمسك بأفكاره وسار على تعاليمه، ولم يخيب ظن ابن تومرت لنجاحه في تأسيس الدولة الموحدية حيث يعتبر هو مؤسسها الحقيقي.

وقد بويع عبد المؤمن بالخلافة بيعتان، خاصة وعامة، كانت الخاصة قبل وفاة ابن تومرت سنة 524هـ أما العامة فكانت سنة 526هـ، فالبيعة الثانية تأخرت بسنتين عن الأولى، والسبب في ذلك أن أصحاب ابن تومرت أخفوا خبر موته إلى حين، تجنبا للخلاف والنزاع حول الزعامة والخلافة، لأنهم كما ذكر ابن أبي زرع "تشوق كل من العشرة للخلافة من بعده، وكانوا من قبائل شتى، وأحبت كل قبيلة من قبائل الموحدين أن يكون الخليفة منها، وأن لايلي عليها أحد من غيرها فتنافسوا في ذلك وتحاسدوا[7] ، لما نزل عبد المؤمن مدينة سلا[1]، وهي على البحر المحيط، يصب إليها

---

[1]- الصلابي: المرجع السابق ص ص 272-273.

[2]- حسن علي حسن: نفس المرجع السابق ص 37.

[3]- تاجرا: وهي منطقة جبلية شمال تلمسان، وشرقي ندرومة بالقرب من مرسى هنين، وهي البلاد الأصلية لـ "عبد المؤمن بن علي"، عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، د.ت. ص 80.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ص ص 196-197.

[5]- علي محمد الصلابي : نفس المرجع السابق ص 321.

[6]- ابن أبي زرع : المصدر السابق ص 183.

[7]- ابن أبي زرع: المصدر نفسه ص 184.

إليها نهر عظيم، ويمر في البحر عبر النهر، وضربت له خيمة، وجعلت جيوشه تعبر قبيلة، فخر ساجدا، ثم رفع يديه، وقد بل الدمع لحيته، فقال: أعرف ثلاثة وردوا هذه المدينة لا شيء لهم إلا رغيف واحد، فراموا عبور هذا النهر، فبذلوا الرغيف لصاحب القارب على أن يعد بهم، فقال: لا آخذه إلا عن اثنين، فقال أحدهما وكان شابا: تأخذ ثيابي و أنا أسبح، ففعل، فكان الشاب كلما أعيا، دنا من القارب، ووضع يده عليه ستريح، فيضربه بالمجداف، فما عدى إلا بعد جهد، فما شك السامعون أنه هو السابح، و الأخرون ابن تومرت، وعبد الواحد الشرقي.[2]

ذكر ابن العماد في شذرات الذهب كلاما عن عبد المؤمن بن علي فقال: " كان ملكا عادلا، سياسيا عظيما، عالي الهمة، كثير المحاسن، متين الديانة، قليل المثل، وكان يقرأ كل يوم سبعا من القرآن العظيم، ويجتنب لبس الحرير، ويصوم الإثنين والخميس، ويهتم بالجهاد، والنظر في الملك، وكان سفاكا لدماء من يخالفه.[3]و بعد أن تم عبد المؤمن افتتاح المغرب الأوسط، واسقاط إمارة بني حماد فيه، وافتتاح المغرب الأدنى وإجلاء النور ماتدين منه إلى صقلية، وضمها إلى دولة الموحدين، أصبحت خلافته تمتد من حدود برقة شرقا حتى ابحر المحيط غربا، ويشمل سلطانه معظم بلاد الأندلس الإسلامية، وبعد أن تم تعيين ابنه وليا لعهده، و عقد لأبنائه على أغلب ولايات الدولة وقض على أغلب المتآمرين ورؤوس الفتنة، وعمل على تقوية جانبه باصطناع أعراب بني هلال، و تقوية ظهره بعصبية قبيلته، شرع في الإعداد للمشروع العسكري الكبير الذي نوى القيام به، يقول ابن صاحب الصلاة: "تم إعداد مائتي قطعة بحرية جديدة في دور الصناعة بمرسى المعمورة عند حلق البحر على ضفاف وادي سبو، و غيره من الدور في بلاد المغرب، وهذه القطع تعبر

---

[1]- سلا: مدينة على ساحل البحر من إقليم المغرب الأقصى، وهي مدينة جليلة حيث أن القديمة منها انهارت مبانيها، فاستحدث الموحدون الجديدة منها، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: احسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، لبنان، 1979 ص 319.

[2]- الأمام شمس الدين محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1402هـ، ص373.

[3]- علي محمد الصلابي: نفس المرجع السابق، ص ص 348 – 349.

إضافة لقطع الأسطول الموحدي الزاخر، وكانت الاستعدادات في نفس الوقت تجري لتدريب الرجال على أقانين القتال البحري، والتهيئة له".[1]

عندما استولى عبد المؤمن بن علي مراكش، قتل القاتلة، وكف عن الرعية، وأحضر اليهود والنصارى، وقال: إن المهدي أمرني ألا أقر الناس إلا على ملة الإسلام[2] وبينما كانت قوات عبد المؤمن تعمل على بيط نفوذ الموحدين في الأندلس، تفتحت أمامه جبهة في المغربين الأدنى والأوسط، فقد بلغته أخبار افريقية، وما وصل إليه أمرها من اختلاف الأمراء، وتطاول العرب من بني سليم وهلال عليها، بالعبث والفساد، وتدخل النور منديين الذين استولوا على بعض نواحيها، وأخذوا صقاقس وسوسة والمهدية، فرحف عبد المؤمن سنة 546هـ، واستولى على الجزائر، وبجاية والقلعة وأعمالها، واستعمل عليها ابنه عبد الله، وترك من الموحدين من يقوم بالدفاع عنها ورجع إلى مراكش، ثم عاد إليها سنة 554هـ بجيش قوي وافتتح تونس عنوة، ثم سار بأسطوله أمام المهدية و حاصرها برا وبحرا، واستولى على صقاقس وقايس، وطرابلس وقفصة.[3]

وهكذا فقد استطاع الخليفة عبد المؤمن بن علي في نحو عشرين سنة أن ينشئ نظاما جديدا للدولة، إذ لم يبق من قدماء المعارضين من يعمل على مناوأته، وكان أشد ما يعني به، وهو من أعظم قادة عصره.[4]

وفي الأخير نقول أن حماسة عبد المؤمن بن علي لدعوة ابن تومرت تبددت، حيث اشتغل بالأمور السياسية والعسكرية، واكتفى بالقيام بزيارة قبر ابن تومرت بين الفتية والأخرى، كرمز على محبته له ولدعوته، أما العمل على تأصيلها في نفوس الناس ونشرها في أماكن جديدة، لا يذكر المؤرخون أنه قام بشيء من هذا، إذ أنه لما بسط سلطانه على بلاد المغرب، والأندلس لم تنتشر

[1]- علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص ص 349 -350.

[2]- نفسه، ص 337.

[3]- عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ط1، 1984م ص 790.

[4]- علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص 338.

دعوة ابن تومرت في تلك الديار، ولم تتأصل محبتها في قلوب سكانها كما تأصلت عند سكان بلادا لمغرب الأقصى.[1]

وبعد حياة عامرة بالإنجازات، مرض عبد المؤمن بن علي المفاجئ، [2] حال دون إتمامها، حيث أدى المرض إلى موته بسلا سنة 558هـ [3]، ودفن بقرب معلمه، وشيخه المهدي ابن تومرت بتينملل.[4]

ب. خلافة أبو يعقوب يوسف:(558ه-580ه)

لما توفي عبد المؤمن بن علي، كان قد عهد بالخلافة في حياته إلى محمد أكبر أبنائه، وبايعه الناس، وكتب بيعته إلى البلاد، ونظرا لما اتصف به من صفات لا تؤهله لها، فإن الأمور قد اضطربت بعد وفاة أبيه، فاختلف في أمره اختلافا كبيرا، واتفق على خلعه فعزل عن الخلافة بعد أن تولاها خمسا وأربعين يوما[5]. وأجمع كبار الموحدين الرأي على البيعة لأخيه يعقوب يوسف، فأخذ ينهج أبيه واقتدى بأفعاله[6]. قال عنه العلامة شوقي أبو خليل: "أعرف الناس كيف تكلمت العرب، العرب، وأحفظهم لأيامها، وآثارها وجميع أخبارها في الجاهلية والإسلام، وأحسن الناس ألفاظا للقرآن الكريم، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية..."[7]

ومن جهة أخرى وصفه صاحب المعجب، "لم يكن في بني عبد المؤمن فيمن تقدم منهم، وتأخر ملك بالحقيقة غير أبي يعقوب هذا"[8]

---

[1]- المرجع السابق، ص 351.

[2]- نفسه، ص 350.

[3]- عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 792.

[4]- تينملل: هذا الاسم يتألف من كلمتين: (تينما) بمعنى(ذات)، و(يمل) بمعنى(احواجز)، وهو الجبل الذي كان مهد دولة الموحدين أول الأمر.

الحميري: المصدر السابق، ص 155.

[5]- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص ص 78-79.

[6]- ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص205.

[7]- الصلابي: المرجع السابق ص ص 352-353.

[8]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ص 243.

فلم تمض سنة واحة على تولية الخلافة، حتى قامت ثورة في بلاد ضهاجة سنة 559هـ، تزعمها مرزدغ الصنهاجي، صرب السكة باسمه، وكتب فيها "مرزدغ الغريب نصر الله قريب"، وانضمت إليه قبائل غمارة وصنهاجة، وأوربة، واستطاع أن يستولي على مدينة تازا، إلا أن الخليفة سير إليه جيشا من الموحدين، فقض على الفتنة، وقتل زعيمها وحمل رأسه إلى مراكش.[1]

وقد تبع رأسه إلى مرزدغ ثورة أكبر منها خطورة، واجهها الموحدون في المغرب الأقصى سنة 562هـ، وقادها زعيم من قبيلة غمارة، يدعى سبع بن منغفاد، وشق عصا الطاعة، وفارق الجماعة، وقطع الطريق، وفرق الفرق، وأدخل في قلوب الناس القاطنين بقصر كتامة الروع والفرقة، وتفاقم أمره، وتعاظم شره، وامتنع في جبل الكواكب الصامتة للسحاب من غمارة[2]فبعث غمارة[2]فبعث إليهم أبو يعقوب جيشا بقيادة أبي حفص الهنتاني، ولكنه لم ينجح في إخضاعهم، وتفريق جموعهم، فاضطر الخليفة إلى الخروج بنفسه، فهزمهم، وقض عليهم، وقتل ثائرهم سبع بن منغفاد.[3]

إذا كان الخليفة أبو يعقوب قد استطاع أن يقضي على الثورات والفتن في المغرب الأقصى، ويطمئن بعض الاطمئنان لهذه الناحية الغربية، فإنه ما إن دخلت سنة 575هـ، حتى بدأت الاضطرابات تواجهه مرة أخرى، ولكنها من الجهة الشرقية من دولته، فقد قامت ثورة في قفصة تزعمها علي بن المعز المعروف بالطويل، من أعقاب بني الرند ملوك قفصة، واستطاع ابن الرند هذا أن يحتل المدينة، ويقتل واليها، ومن معه من الموحدين، وتلقب بالناصر لدين النبي، فتوجه أبو يعقوب يوسف بنفسه إلى افريقية ، وأقام حصارا على مدينة قفصة دام ثلاثة أشهر، ولما ساءت أحوال أهلها، لجأ ابن الرند إلى الخليفة مستسلما وتائبا يطلب العفو، فعفا عنه[4]، ودخل الموحدون المدينة سنة 576هـ، واستطاع أبو يعقوب في الوقت نفسه أن يقمع ثورة قراقوش التركي، الذي

---

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ص ص 14- 15.

[2]- بوداعة نجادي: الحياة الفكرية في الأندلس على عهد الدولة الموحدية، قسم التاريخ والآثار، جامعة تلمسان 2010، ص13.

[3]- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار ملوك العرب، دار الكتاب، اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، ج6، 1967م ص 498.

[4]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص ص 106-107.

دخل طرابلس، وهاجم تونس، فأوقفه الخليفة وردة على أعقابه [1]، توفي بالجزيرة الخضراء في طريقه إلى المغرب سنة 580 هـ، و دفن بتينملل، بجوار أبيه عبد المؤمن بن علي.[2]

ج. خلافة أبو يوسف يعقوب المنصور: (580 هـ - 595هـ)

لما توفي أبو يعقوب يوسف، تولى الخلافة ابنه أبو خاصة عقبة وفاة أبيه، وأجلت البعثة العامة بسبب عدم إفشاء وفاة أبيه، وفي إشبيلية تمت له البيعة بعد موافقة الخصوص والعموم عليه، وكان هذا سنة 580هـ [3] كان الخليفة المنصور، صافي السمرة، جميل الوجه، أفوه أعين شديد الكحل، صخم الأعضاء، جمهوري الصوت، من أصدق الناس وأحسنهم حديثا، وأكثرهم إصابة بالظن، محربا للأمور ولي وزارة أبيه، فبحث عن الأحوال بحثا شافيا، وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيات الأمور، فرفع راية الجهاد، ونصب ميزان العدل، وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع، فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات.[4]

قام بعدة إصلاحات في منهج دولة الموحدين، وذلك في زمن حكمه، صرح بعدم صحة الاعتقاد بعصمة ابن تومرت وجالس الصلحاء،[5] والمحدثين، ومال إلى الظاهرة، وأعرض عن كتب المالكية، وأحرف مالا يحصى من كتب الفروع، قال عبد الواحد بن علي: كنت بفاس فشهدت الأحمال يؤتى بها فتحرق، وتهدد على الاشتغال بالقروع"، وأمر الحفاظ بجمع كتاب في الصلاة من "الكتب الخمسة" و "الموطأ" و "مسند بن أبي شيبة"، "مسند البزار"، "سنن الدار قطني" و "سنن البيهقي، وكان يملي ذلك بنفسه على كبار دولته، وحفظ ذلك خلق، فكان لمن يحفظه عطاء وخلعة.[6]

---

[1]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10 ص ص ،103،104.

[2]- الصلابي: المرجع السابق ص 360.

[3]-ابن الأثير: نفس المصدر، ج10 ص 126.

[4]-الصلابي: نفسه ص 365.

[5]- الصلابي: نفس المرجع السابق، ص ص 366-367.

[6]- شمس الدين محمد الذهبي: المصدر السابق ص 313.

نظر الموحدون إلى الذين خالفوا في ميدان العقائد والمبادئ نظرة معادية، اتسمت بالحقد والكراهية، على أنهم غير أهل الإيمان فعاملوهم بقسوة بالغة، مما أثار لدى بعض العلماء والفقهاء موجة من الذعر والخوف، ولعل أوضح متال على هذه الحالة ما جاء على لسان الوهراني بعد سقوط دولة المرابطين بقوله: "لما تعذرت مآربي، واضطربت مغاربي، ألقيت جبلي على غاربي، وجعلت من مذهبات الشعر بضاعتي من أخلاق الأدب رضاعتي"[1]

كما كان مجلسه عامرا بالعلماء، وأهل الخير والصلاح، يقول تاج الدين ابن حموية: "دخلت مراكش في أيام يعقوب، فكانت الدنيا بسيادته مجملة، يقصد لفصله، ولعدله، ولبذله وحسن معتقده، فأعذب موردي، وأنجح مقصدي، وكانت مجالسه مزينة بحضور العلماء والفضلاء، تفتح بالتلاوة تم الحديث"، كما كان يجيد حفظ القرآن، والحديث ويتكلم في الفقه، ويناظر سبويه إلى مذهب الظاهر، وكان فصيحا، حسن الصورة، تام الخلافة، لا يرى منه عيب، ولا من مجالسه إعراض.[2]

اهتم بطلاب العلم الذين يأتون من الآفاق، وقال ذات مرة: يا معشر الموحدين، أنتم قبائل، فمن نابه أمر، فزع إلى قبيلته، وهؤلاء الطلبة لا قبيل لهم إلا أنا، فعظموا عند الموحدين.[3]

واجه المنصور الموحدي في أوائل عهده مشاكل صعبة في المغرب والأندلس معا، ففي المغرب واجه ثورة علي بن إسحاق المعروف بابن غانية، صاحب جزيرة ميورقة، والذي استغل وفاة أبي يعقوب يوسف باستعلائه على بجاية سنة 581هـ، والذي كان أميرها أبو الربيع حفيد عبد المؤمن، ثم استولى على الجزائر وملیانة ومازونه، وقلعة بني حماد، وحاول أن يضم قسنطينة' ولكنه لم يفلح في ذلك، لامتلاكها حصنا منيعا، وكان ابن غانية يريد إحياء مجد الدولة والدعوة إلى الخلافة العباسية ولما علم المنصور بذلك، أعد له العدة فجهز جيشا بريا بقيادة ابن عمه أبي حفص، وأسطول بحري، بقيادة محمد بن إبراهيم، فأعاد الخليفة المنصور المدن التي استولى عليها

[1]- الصلابي: المرجع السابق، ص 367.

[2]- الصلابي: المرجع نفسه، ص 368.

[3]- شمس الدين محمد الذهبي: المصدر السابق ص 314.

ابن غانية بعد الانتصارات التي أحرزها عليه، وقد فر نحو الصحراء[1]، ولم يستسلم ، حيت أنه اتصل بقراقوش صاحب طرابلس، فطلب منه تقديم المساعدة والتحالف معه، فقبل قراقوش طلبه،[2] وبهذا التحالف استطاع ابن غانية ان يستولي على قفصة وبلاد الجريد، وتوزر وأشير، فشعر الموحدون بخطورة الرجلين وتهديدهما لسلطانهم في هذه الأنحاء، فقرر الخليفة القيام بحملة قوية ضدهم، يكون هو على رأسها، وخرج بها سنة 582هـ، قاصدا افريقية، والتقى ابن غانية مع الخليفة سنة 583هـ، فهزمه وفر بنفسه مع صاحبه قراقوش[3]، وتمكن المنصور من استرجاع قفصة، وبلاد الجريد ثم رجع إلى عاصمته مراكش سنة 584هـ، غير أنه لم يقطع دابر الفتنة نهائيا، إذ ظلت هذه الثورة في عهد المنصور الموحدي، وابنه الناصر من بعده[4]، أصيب المنصور بمرض أدى إلى وفاته ، ودفن في تينملل.[5]

د. خلافة أبو محمد عبد الله الناصر: (595هـ - 610هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، بويع وليا للعهد في حياة أبيه سنة 585هـ، وجددت له البيعة بالخلافة بعد وفاته سنة 595هـ، ولقب بالناصر لدين الله[6]، وكان شابا طموحا معتزا بنفسه، وبرأيه، قليل الذكاء، ولا يحترم أصحاب الخبرات الواسعة من رجالات الدولة الموحدية، واستند بالأمور، ورفض النصائح من أقرب المقربين من رجاله،[7] ولقد واجه ثورات في المغرب، وافريقية، ففي جبال غمارة ثار عليه رجل يدعى علودان الغماري، ولم تدم هذه الثورة طويلا حتى استطاع الناصر أن يخمدها، وفي المهدية ظهر ثائر آخر يدعى عبد الكريم الركراكي مدعيا الخلافة، وقد لقب نفسه بالمتوكل على الله، واحتل تونس سنة 592هـ، مما أثار

---

[1]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ص ص 175-179.

[2]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 158.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 272-273.

[4]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 165.

[5]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ص ص 228-229.

[6]- ابن خلدون، العبر، ج6 ، ص 517.

[7]- الصلابي: المرجع السابق، ص 393.

غضب ابن غانية، فدارت بينهما معركة استطاع هذا الأخير أن يهزم الركراكي بقفصة ويحاصره في المهدية سنة 599هـ ، ويقتله بهذه المدينة،[1]وهكذا بسط ابن غانية الميورقي حكمه على سائر إفريقية، ما عدا شاطئها الشمالي، واستولى على سائر قواعدها، طرابلس وقابس وصفاقس والمهدية والقيروان[2]، ومقابل هذا أعد الناصر العدة لمواجهته، والقضاء عليه، وكان استمراره في عداونه، وتفاقم أمره في البلاد، وفشل الحملات الموحدية المتوالية في القضاء على سلطانه، قد حمل البلاد الموحدي على أن يفكر في افتتاح مبورقة، والقضاء على سلطانه،[3]فخرج الخليفة الناصر بنفسه سنة سنة 600هـ متوجها إلى تونس، فدخلها عنوة، وقتل من فيها من أتباعه، ثم حاصر المهدية، وكلف قائده أبو محمد بن الشيخ بن جعفر لمواجهة ابن غانية، فهزمه ولكنه لاذ بالفرار بأهله وولده،[4] واستطاع الناصر استرجاع كل من المهدية وتونس سنة 602هـ.[5]

دس له خدمه السم، وتوفي مسموما أمر من وزرائه، لأنه كان قد عزم على قتلهم، فمات و لم يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره سنة 610هـ، ودفن بجوار أبائه بتينملل.

ه. خلافة أبو يعقوب يوسف المستنصر: (610هـ -620 هـ)

خلف المستنصر بالله، أباه محمد الناصر، في اليوم التالي من وفاته، سنة 610 هـ[6]، وكان فتى في السادسة عشرة من عمره حين تولى الخلافة، امتاز عهده بالهدوء والركود، لم تقع خلاله حوادث ذات شأن و لم تنظم غزوات ما، و لم تحشد الجيوش الموحدية، و لم تعبر البحر إلى شبه الجزيرة، وفقا لما جرى عليه الأمر، مند أول عهد الخلفاء الموحدين عبد المؤمن بن علي.[7]

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ص 517.

[2]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 254.

[3]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 257.

[4]- نفسه، ص 265.

[5]- الصلابي: المرجع السابق، ص ص 393-409.

[6]- الصلابي: المرجع السابق، ص 420.

[7]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 331.

لقب بالمستنصر بالله،[1] استطاع إخماد ثورة الفاطمي العبيدي، وفي سنة 617هـ، وجه الخليفة كتابا إلى قواعد المغرب والأندلس، على نمط الكتب التي كان يوجهها الخلفاء الموحدون.[2]

إن حياة اللهو الصاحب المستمر، التي انهمك فيها المستنصر بالله، حكمت بنيته، فلم تكن له لا غزوة ولا حركة ولا خرجة إلا لمدينة تينمل على العادة في التنك بالمهدي، وهو شخصية تتميز بشيء من الخلال العظيمة، والأعمال البارزة،[3] وكانت وفاته مفاجئة سنة 620 هـ.

و. خلافة عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن: (620هـ - 621هـ)

هو عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن، بويع بمدينة مراكش سنة 620هـ، وكانت مدة خلافته بها ثمانية أشهر وتسعة أيام، فلم يكن هناك استقرار، إذ كانت النزعات فتفرق شمل الموحدين، وكثر الطامعون في كرسي الخلافة، فتولاها عبد الله بن يعقوب يوسف الملقب بالعادل، بعد أطلب الخلافة لنفسه، وساعده على ذلك شيوخ الموحدين،[4] بعد أن خلع عبد الواحد ولقي مصرعه، وهو لم ينعم بطعم الخلافة بعد، وكان في رمضان[5] سنة 621 هـ ، فخلفه العادل.

ز. أواخر خلفاء الدولة الموحدية (عصر الضعف):

تولى العادل الخلافة سنة 621هـ ولقبه الكامل هو "العادل في أحكام الله تعالى"[6] اتسمت اتسمت خلافته بظهور المؤامرات التي حيكت ضده من قبل شيوخ الموحدين الذين أصبحوا يسيرون أمور الدولة، وشؤونها فكثرت الأطماع في سلطانه،[7] تفاقمت الأحوال واضطرب حبل الأمن، وازدادت الفوضى وتوالى عيث العرب، وبعض القبائل البربرية، ولاسيما هسكورة،[8] ولم

---

[1]- الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، مطبعة الدولة التونسية المحروسة، ط1، 1289 ص 25.

[2]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ص 342.

[3]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ص 169.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ص ص 333-334.

[5]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ص 352.

[6]- المرجع نفسه: نفس الصفحة.

[7]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ص ص 270-274.

[8]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ص 364.

يتمكن من إخماد هذه الثورة، فقام في الأندلس أخوه أبوالعلا المأمون الذي كان نائبه يطلب الخلافة لنفسه، ورأى ضرورة القضاء على أخيه، وعلى الحركات المناوئة للحكم الموحدي، فشق عصا الطاعة، ودعا إلى نفسه، فانظم تحت لوائه شيوخ الموحدين بالمغرب، وخلع العادل من الخلافة سنة 624هـ، وتم قتله في نفس السنة[1].

ومن جراء هذه الأعمال التي خطط لها كبار الموحدين المتمثلة، في خلع وقتل عم المأمون الخليفة عبد الواحد، وخلع العادل، وقتله أيضا، خافوا على مناصبهم ومستقبلهم من انتقام المأمون لهم، فوجدوا أنفسهم بين أمرين أحلاهما مر، إما مبايعة المأمون، والعدول عنها، فتمت مبايعة أبي زكريا، يحي بن الناصر، الملقب بالمعتصم، ولما بلغه خبر عدول الموحدين بالمغرب من مبايعته، طلب يد المساعدة من ملك قشتالة، نشبت حرب بينهما واستطاع المأمون أن يهزم جيش المعتصم، ففر إلى جبال الأطلس وبويع المأمون،[2] وأصدر مرسومه المتقدم، بإزاله اسم المهدي من الخطبة والسكة، والسكة، وأن كل ما فعله المهدي، وتابعه أسلافنا فهو بدعة، واستدعى شيوخ الموحدين وعاتبهم على نقض عهودهم، ثم أمر بإعدامهم.[3]

ظل الصراع قائما بين المأمون والمعتصم بن الناصر، على تولي الخلافة إلى أن توفي المأمون سنة 629هـ، وأثناء هذا الصراع الذي كان بينهما، قام النصارى باستغلاله في توسيع نفوذهم على حساب الموحدين باحتلال الحصون والمدن التخامة لهم،[4] ولكن خابت آمال المعتصم بن الناصر عندما سارع أصحاب المأمون إلى مبايعة ابنه الصبي أبي محمد عبد الواحد الملقب بالرشيد سنة 630هـ، فعاج الصراع من جديد بين المعتصم والرشيد، ودام هذا النزاع إلى سنة633هـ، تاريخ مقتل المعتصم من قبل عرب المعقل، وقد التجأ إليهم من أجل طلب المناصرة، فلم يلبوا طلبه، بل قتلوه، وحملوا رأسه إلى الرشيد [5]، وكان عهد الرشيد الذي استطال زهاء عشوة أعوام، عهدا

[1]- ابن عذاري المراكشي: المصدر نفسه ص ص 269-270.

[2]- المصدر نفسه، ج5 ، ص ص 273-287.

[3]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ص ص 371-372.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ص335.

[5]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ص ص 273-287.

بعيدا عن الهدوء والاستقرار، مليئا على قصره بالأحداث والانقلابات العنيفة،[1] وعرفت الدولة الموحدية اضطرابات في المغرب الإسلامي، تمثلت في الخطر المريني الذي بات يهدد كيان الموحدين في المغرب، توفي الرشيد غرقا في إحدى صهاريج بستانه بمراكش سنة 640 هـ.[2]

تمت البيعة لأخيه أبا الحسن علي بن المأمون سنة 640 هـ وساءت أحوال الموحدين في عهده، وتقلص نفوذهم، بظهور عبد الواد في تلمسان، والحفصيون في افريقية، واعلانهم الاستقلال عن الدولة الموحدية، توفي في تلمسان 646هـ[3] ثم بايع الموحدون بعد أبو حفص عمر بن إسحاق بن يوسف الذي تلقب بالمرتضى، ولم يتمكن من الحركات الانفصالية، فملك بني مرين مرتين رباط تازا من نفس السنة، وفاس سنة 647هـ، وفي سنة 653هـ، انهزم جيش المرتضى أمام المرينيين عند جبل بني بهول قرب مدينة فاس، وعاد المرتضى إلى مراكش، وفي سنة 662هـ حاصر بنو مرين مراكش، فتعهد المرتضى بدفع الجزية إلى قائد الحملة يعقوب المنصور، وخرج عن طاعته أبو العلاء ادريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن، وأعلن نفسه خليفة وتلقب بالواثق بالله، وعرف بأبي دبوس، وكان قائد الجيش في عهد المرتضى.[4]

بويع سنة 660هـ، واحتل القصر عقب فرار الخليفة المرتضى وتلقب بالواثق بالله،[5] استنجد بيعقوب المنصور المريني لمقاتلة المرتضى، فلبى طلبه القائد المريني، فأعانه بالجيش، وقد انظم تحت لواء دبوس قبيلة هستورة، وعرب الخلط، وعرب سفيان، واستولى أبو دبوس على مراكش وأحوازها، ولكنه ناقص وعوده مع المرينيين، ونشب صراع جديد بينه وبينهم، فالتقى الجيشان ببلاد دكالة، وانهزم على[6] إثر هذه المعركة الجيش الموحدي، وقتل أبو دبوس فيها، وحمل رأسه إلى إلى فاس، وكانت نهاية الدولة الموحدية بعد هذه المعركة.

---

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ص 497.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ص 335.

[3]- محمد عبد الله عنان: المرجع نفسه ص 518.

[4]- ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ص 260-261.

[5]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ص 563.

[6]- ابن أبي زرع: نفسه.

- **مقومات الحياة العلمية والثقافية في بلاد المغرب على عهد الموحدين:**

إن عصر الدولة الموحدية الذي استطال زهاء قرن ونصف قرن من الزمان، كان من أحفل عصور التاريخ الأندلسي والمغربي بالحركات الفكرية. وإنه ليبدو من الغريب، أن تولى فيها سقوط القواعد الكبرى، مستمرة في الاحتفاظ بنشاطها وعنفوانها، ونراها تنحدر عبر البحر من القواعد الأندلسية الذاهبة، إلى قواعد افريقيا والمغرب، تحمل معها تراثها الزاخر[1].

وقبل أن نتحدث عن هذه الحركة الفكرية الباذخة التي ازدهرت بالمغرب خلال العصر الموحدي، تحاول أن نستكشف في ملامح الدولة الموحدية، بعض العوامل المشجعة، أو الدافعة لمثل هذه الحركة، وبالغم مما كان يقع في ظل هذه الدولة بين آونة وأخرى، من ضروب المطاردة الفكرية كانت دولة حامية للعلوم والأدب والفنون.[2]

كان مؤسس الدولة الموحدية الروحي، المهدي محمد بن تومرت من أقطاب عصره،[3] وقد أفسح في دعوته للعلم أيما مكانة، وحرص على تحصيله بقوة وحماسة في عبارته المشهورة، التي يفتح بها كتابة وهي: "أعز ما يطلب، العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير، هو أعز المطالب، وأفضل المكاسب، وأنفس الذخائر، وأحسن الأعمال.[4]

كما استطاع ابن تومرت أن يستفيد من رحلته المشرقية، وأن يتحصل على علوم متنوعة، تجمع بين العلوم العقلية، والنقلية، فضبط الأصول علم الكلام وعقائد الأشاعرة وتأثر بالمعتزلة، وغير ذلك من العلوم ورأى في كتب أقطاب المدارس الفكرية من الأشاعرة والمعتزلة والشيغة، وغيرها من المطالب وحضر مناقشتهم وندواتهم، واطلع على فلسفتهم وروح حركاتهم، وبذلك تبلورت آراؤه وأفكاره، وهكذا ساعدته رحلاته المغربية والمشرقية على الوقوف على أحوال العالم الإسلامي، واستوعب أسباب الانهيار.[5]

---

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ص 645.

[2]- نفس المرجع، نفس الصفحة.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق ص 35.

[4]- محمد عبد الله عنان: نفس المرجع، ص 645-646.

[5]- علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص 258.

وقد كان أول خلفاء الدولة الموحدية، عبد المؤمن بن علي، موطد دعائمها، كذلك عالما من ألمع علماء عصره، يلتق حوله العلماء والكتاب والشعراء من المغرب الإسلامي، يبسط عليهم رعايته، ويغمرهم بصلاته، وهو الذي نظم جماعة الحفاظ الموحدين، وعى بأمرها أشد عناية، حتى بلغت في أيامه نحو ثلاثة آلاف حافظ، يدرسون الكتب والتعاليم، وقد تولى الكثير منهم فيما بعد كثيرا من مناصب الثقة والمسؤولية في الدولة الموحدية بالمغرب.[1]

كان الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، كذلك أكابر علماء عصره، وكان أديبا متمكنا، وفقيها، ومحدثا بارعا، يشغف في نفس الوقت بالدراسات الفلسفية، ويجمع حوله طائفة من أعظم علماء العصر ومفكريه، وفي مقدمتهم أبو بكر بن طفيل، وأبو الوليد بن رشد، وأبو بكر بن عبد الملك بن زهر، وهم أساتذة الفلسفة والطب في هذا العصر، وقد انتهى إلينا من آثارهم كتاب في "الجهاد"، وهو الملحق بكتاب المهدي بن تومرت وقد كانت لهذه النزعة العلمية التي غلبت على معظم الخلفاء الموحدين، أثر كبير فيما جرت عليه الدولة الموحدية طوال أيامها، من رعاية للعلماء والمفكرين من كل ضرب، وحشدها لإعلام الكتاب والمفكرين حول البلاط الموحدي سوآءا في مراكش أو إشبيلية، وتستطيع أن نضيف إلى ذلك أن الخلافة الموحدية تحملها هذه النزعة العلمية الأصيلة، قد جرت على سياسة إطلاق حرية البحث والتفكير، خلافا لما كانت عليه الدولة المرابطية، من تزمت وتقييد لحرية الفكر.[2]

كان فضل الموحدين على المعارف عظيما، فإنهم حافظوا على ما اختاروه منها إلى حد كبير، وشجعوها، كما شجعوا كثيرا من العلوم، التي لم تكن رائجة أو كان محضورا رواجها في العهد المرابطي، وطبعوا كل ذلك بطابعهم الخاص، وإن تشجيعهم للمعارف التي كانت شائعة في عهدهم بلغ مبلغا عظيما، وكان تشجيعا ماديا وأدبيا تفننوا فيه، ما شاءت لهم هممهم الكبيرة أن يتفننوا.[3]

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 646.

[2]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ص 647.

[3]- محمد المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989، ص12.

الفصل الأول:

المراكز العلمية والمؤسسات الثقافية

في بلاد المغرب الإسلامي

تمهيد:

لقد كانت العلاقات الثقافية بين أجزاء المغرب الإسلامي، في نمو مطرد خلال عصر الموحدين، فكانت بجاية، تلمسان، مراكش وفاس حواضر للإشعاع الثقافي، وظل هذا الوضع قائما حتى في أحلك الظروف. وكانت المدن المغربية تعج بطلاب العلم والعلماء، وكانت المدارس والكتاتيب والمساجد وغيرها، تشهد المناقشات الفقهية واللغوية والأدبية، وغير ذلك مما حفلت به الحياة الفكرية في المغرب الإسلامي.

المبحث الأول: المراكز العلمية

أ. بجاية:

بجاية مدينة مشهورة بالمغرب الأوسط، تقع شرقي الجزائر، على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، اختطها سنة 460هـ، الناصر بن علناس، أشهر ملوك الدولة الحمادية وأعظمهم شأنا، ثم اتخذها عاصمة ملكه، وسماها بالناصرية باسمه.[1]

بلغت بجاية في عهد الحماديين، درجة كبيرة من التقدم والعمران، واحتلت مكانة مرموقة بين حواضر العلم في المغرب والمشرق، فانتعشت الثقافة العربية، وازدهرت الحركة العلمية، حتى قيل إن عدد المفتين فيها بلغ تسعين مفتيا في زمن واحد، وبنهاية دولة بني حماد على أيدي الموحدين، ودخول المغرب الأوسط تحت حكمهم، أخذت بجاية تفتح صفحة جديدة من صفحات تاريخها الثقافي والسياسي والعمراني والعلمي، ففي هذا العصر، أصبحت معقلا من أهم معاقل الحركة العلمية، التي عرفها الشمال الإفريقي.[2]

---

[1]- عبد الله علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، (ب ط)، 1971م، ص296.

[2]- أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، ص7.

وينتقل إليه عشاق الأدب وطلاب العلم والمعرفة، من مختلف المدن والقرى، وقبلة تهوى إليها أفئدة المسلمين من بلاد الأندلس غربا، إلى أصفهان في بلاد العجم شرقا، فاستهوت الباب عدد غير قليل من مشاهير العلماء، ومدرسي العلوم، وأهل التقوى والقضاة الأندلسيين والتونسيين والليبيين.[1]

تعتبر من أهم المراكز الثقافية والعلمية الموجودة أثناء حكم عبد المؤمن بن علي الخليفة الموحدي.[2]

وصف الشريف الإدريسي المدينة بما يلي: "وأما مدينة بجاية، في ذاتها عمرت بخراب القلعة التي بناها الحماد بن يلقين، وهي التي تنسب دولة بني حماد إليها، والقلعة كانت في وقتها، وقبل عمارة بجاية دار الملك لبني حماد وفيها كانت ذخائرهم مدخرة، وجميع أموالهم مختزنة، ودار أسلحتهم، وبها الفواكه، والنعم المتجة، وما يلحقه الإنسان بالثمن اليسير، وفلاحتهم إذا كثرت أغنت، وإذا قلت كفت، فأهلها أبد الدهر شباع".[3]

ومن فقهاء بجاية في عهد الموحدين نذكر:

- **الشيخ الفقيه الجليل**، العالم النبيل أبو الفضل ابن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي، من أهل بجاية، له علم متسع المدى، كان متمكن المعرفة، حسن الشارة والصفة، له الأخلاق المرضية، وكان وجيها مكرما، ومشرفا معظما، استدعاء الخليفة عبد المؤمن إلى حضرتهم بمراكش، فارتحل من بجاية عن كره، مع علمه أنه استدعاه لمنصب يسمو به على أمثاله، ثم استدعاه الخليفة أبو يوسف يعقوب ليتولي كتابة السير، فظهر في هذا المنصب بمقدرته، وروعة أسلوبه، وبيانه، ولما توفي أبو يعقوب، كتب من بعده لولده

[1]- الغبريني: المصدر السابق، ص7.

[2]- بن ميدون فضيلة: الجانب الحضاري والفكري في عهد الدولة الموحدية، رسالة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2011، ص53.

[3]- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989، ص261.

الخليفة يعقوب، كتب من بعده لولده الخليفة يعقوب المنصور[1]، توفي سنة 598هـ[2]، ومن الذين ارتحلوا إلى مدينة بجاية:

- **المحدث الحافظ المتقن**، القاضي الخطيب أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي، رحل إلى بجاية، اختارها وطنا له، وأتم بها خبرته، فألف التأليف، وصف الدواوين، وولي الخطبة، وصلاة الجمعة بجامعها الأعظم، وجلس للوثيقة والشهادة، وولي قضاء بجاية لمدة قصيرة[3]، وكان ذلك إبان عزم ابن غانية الميور في الإستيلاء على بجاية، توفي سنة 582هـ[4].

ب. تلمسان:

تلمسان مدينة إسلامية شهيرة، بغرب المغرب الأوسط، تبعد 138كلم عن مرسى وهران جنوبا و80 كلم عن وجدة شرقا، تقع في السفح الشمالي للجبل المنسوب إليها على ارتفاع 800 متر فوق سطح البحر، وتنبسط أمامها سهول خصبة، وتحيط بها الحدائق والغروس من كل جانب، يزعم كثير من المؤرخين أنها إحدى المدن السبع القديمة، كانت في الأصل قرية بربرية تدعى أكادير، ولما جاء الإسلام، افتتحها أبو المهاجر دينار المخزومي سنة 55هـ، وهزم حولها الأمير البربري كسيلة البرنسي، ثم أدخلها عقبة في ولايته الثانية للمغرب، ومر بها الإمام إدريس الأول في طريقه إلى المغرب الأقصى، ومن ذلك التاريخ علا صيتها، وازدهرت الثقافة والعلم فيها، وأصبحت أهميتها الدينية والثقافية والسياسية بالنسبة إلى المغرب الأوسط مثل أهمية فاس ومراكش بالنسبة إلى المغرب الأقصى، والقيروان وتونس بالنسبة إلى المغرب الأدنى.[5]

---

[1]- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 697.

[2]- الغبريني: المصدر السابق، ص55.

[3]- الغبريني: المصدر نفسه، ص 41.

[4]- المصدر نفسه، ص ص 42-44.

[5]- ابن القاضي المكناسي: جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، (ب ط)، 1973، ص40.

وصفها ياقوت الحموي بقوله: "تلمسان بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، وبعضهم يقول تلمسان بالنون عوض الأم، وهما مدينتان متجاورتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة، والأخرى حديثة، والحديثة، احتطها الملثموت ملوك المغرب، واسمها تاقرارت فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان، واسم القديمة أقادير يسكنها الرعية".[1]

وهي عبارة عن مدينتين إحداهما قديمة تسمى أقادير، والثانية حديثة تسمى تاقرارت[2] تأسست تلمسان الحديثة سنة (473هـ - 1081م)[3]، بلغت تلمسان في العهد الموحدي درجة كبير في الحضارة والعلم.[4]

وعقب استيلاء عبد المؤمن بن علي على تلمسان سنة (534هـ - 1139م) تزايد التوسع العمراني بها موازنة مع تزايد النشاط التجاري، وحظت تلمسان بعناية الموحدين بها، حيث ابقوا عليها كمقر لولايتهم ومركز إشعاع، وأعطاها عبد المؤمن الأولوية كمركز ثقافي[5]، ثقافي[5]، ومن الأعمال التي قام بها بهذه المدينة، تجديد الجامع، وبناء قصر المشور سنة 540هـ، وعقد مجالس العلم، ونشر التعليم الإجباري، وأصبحت تلمسان من حصون الموحدين الهامة لنشر دعوتهم بالمغرب الأوسط.[6]

[1]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 1، ص 870.

[2]- مبارك محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، (ب ط)، (ب ت)، ص444.

[3]- عبد الحميد حاجيات: تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، 1993، ص 37.

[4]- سلمان داوود بن يوسف، حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، مطبعة أبو داوود حاجيات، (ب ط) 1975، ص113.

[5]- عبد الحميد حاجيات: المرجع نفسه، ص 183.

[6]- عبد الله علام: المرجع السابق، ص 287.

ج. فاس:

ينسب تأسيس مدينة فاس، إلى إدريس الثاني ابن إدريس الأول، وخليفته، وقد وصفها أبو عبيد البكري فقال: إن هذه المدينة تتكون من ضفتين مختلفتين، يفصل بينهما نهر، وتسمى إحداهما "ضفة القرويين"، والثانية "ضفة الأندلسيين"، فالأولى **تأسست سنة** (192هـ - 808م)، أما الثانية فكان تأسيسها في السنة التالية.[1]

ولما عزم إدريس على بناء مدينة فاس، بعد أن اختبر تربتها وهوائها، وتحقق بعدها من الصحراء، والجبال الشامخة، رفع يديه إلى السماء[2]، وقال: "اللهم اجعلها دار فقه وعلم يتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتهم"، أما عن سبب تسميتها بفاس، فقيل أن إدريس لما أخذ في بنائها، وكان يعمل فيها بيده مع الصناع، والفعلة، صنع له فأس من ذهب أو فضة يخدم به، فكان يقال له هات الفأس، احمل الفأس، وسميت فاسا لأجل ذلك، وقيل كذلك أنه لما شرع في حفر أساسها، وجد فأسا كبيرا طوله أربعة أشبار، وسعته شبر واحد، ووزنه ستون رطلا من عمل الأوائل، لذلك سميت به، كما قيل أيضا أن الإدريسي سئل كيف يسميها، فقال: "باسم المدينة التي كانت قبلها، التي أخبره الراهب أنها كانت تسمى بساف، ولكنه قلبها إلى فاس".[3]

انتهت مدينة فاس في أيام الموحدين من الغبطة والعمارة والرفاهية والأمن والعافية إلى ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب[4]، فوجود الماء الوفير في عدوة القرويين، دفع بالناصر الموحدي إلى جلبه لعدوة الأندلسيين، وذلك سنة (604هـ - 1207م).[5]

---

[1]- ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس: مؤسس شباب الجامعة، الإسكندرية، (ب ط)، 1990، ص1.

[2]- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ص35.

[3]- المكناسي: المصدر نفسه، ص36.

[4]- المكناسي: المصدر **نفسه**، ص51.

[5]- أبو حسن علي الجزنائي: زهرة الأس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1991، ص20.

لما رحل عبد المؤمن والموحدون من تلمسان، اجتمعت عليه الوفود والحشود من كل جهة، فتوجه إلى مدينة فاس، وقدم معه جمع من الرجال للحرب والنزال[1]، وترك على حصارها أبا بكر بن الخير، مع جماعة من الموحدين، ولما وصل إلى مكناسة برز عليها، وجد في حصارها ثم وجه منها أبا حفص عمر بن يحي الهنتاني، فلما جهز الموحدون، كسروا قفل باب الفتوح، واستولوا على فاس، بعد حصارها سبعة أشهر.

أولى الموحدون اهتمامهم وعنايتهم بهذه المدينة، حيث أصبحت لها مكانتها الدينية في تاريخ البلاد، كما صارت لعبة للعلماء من كل مكان، حيث ازدهرت العلوم الدينية في مساجدها المتعددة، وخاصة جامع القرويين الذي ظل مركز إشعاع علمي، يقصده الكثير من طلاب العلم.

وأبو مدين شعيب المتصوف (ت 594هـ)، حيث أراد أن ينهل من العلوم الدينية، ويتزود منها، نصحه الكثير بالتوجه إلى مدينة فاس، وهناك وجد أبو مدين بغيته، حيث مجالس العلم المتعددة.

وصارت هذه المدينة نجما يتألق بما فيها من تيارات ثقافية، وبما يموج بداخلها من حركة علمية، مما دفع المراكشي إلى وصفها بقوله :" ومدينة فاس هذه هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا، اجتمع فيها علم القيروان، وعلم قرطبة، إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس، كما كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمر القيروان بعبث العرب فيها، واضطرب أمر قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت أبي عامر محمد بن أبي عامر وابنه، رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة، فرار من الفتنة، فنزل أكثرهم مدينة فاس فهي اليوم على غاية الحضارة".[2]

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص448.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 357-358.

ومن علماء أهل فاس:

- **أبو عبد الله محمد بن حسين بن عبد الله ابن حبوس**، وهو من أهل فاس، وكان عالما محققا، وشاعرا كبيرا، لقي عبد المؤمن بن علي بجبل طارق مع باقي الشعراء، وامتدحه بقصيدة ألقاها عليه، وكثرت مدائحه من بعده لولده الخليفة أبي يعقوب يوسف، وأمراء بن عبد المؤمن، جمع شعره في ديوان حافل، يدل على جزالته، وقوة شاعريته، توفي 570هـ عن عمر يناهز سبعين عاما.[1]

- **وأبو بكر بن عبد الرحمان المليلي**، ولد بمليلية، وأخرجه عنها إلى مدينة فاس السلطان، أبو بكر بن عبد الحق المريني، انتقل إلى مدينة مليلية في أيام الموحدين، فاستوطنها وبها عرف بالمليلي، كان فقيها، صالحا، ورِعا، مجاب الدعوة، تغير مع سلطان الموحدين، فكان ذلك سبب خروجه منها إلى فاس.[2]

د. مراكش:

إن اسم مدينة، وهو لفظة مراكش، فقد عللها السلاوي، وابن عبود، بأن معناها في لغة المصامدة: امش مسرعا، حيث أن المكان الذي أنشأت فيه، كان مكمنا للصوص، فكان المارة يقولون لرفقائهم تلك العبارة، فعرف الموضع بها[3]، أما المراكشي فقد أشار إلى أن مراكش هي اسم لعبد أسود، كان يقيم في المنطقة ويقطع الطريق على المارة.[4]

لما فرغ عبد المؤمن من أشغال فاس، عزم على فتح مدينة مراكش، ذكر ابن الأشيري عن هذا الفتح مختصرا وكان في صدر محاضرة مراكش فتح أغمات، وإن الحثالة الباقية مع إسحاق بمراكش، بعد عدة أيام من النزول عليهم، اغتروا، وخرجوا مع أهل مراكش،ورتبوا

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 688.

[2]- المكناسي: المصدر السابق، ص 106.

[3]- المكناسي: المصدر نفسه، ص 106.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 100.

ساقتهم بفحص باب دكالة، فدفع عليهم الموحدون من كل جهة فقتلوهم، وهزموهم، وأمر عبد المؤمن بقطع رؤوس القتلى منهم، فانتقلت المحلة الموحدية إلى مراكش، ففتحت المدينة، ودخلها الموحدون.[1]

وتأتي مراكش في مقدمة مدن الدولة الموحدية آنذاك، حيث كان العلماء يشدون إليها الرحال من الأندلس، وغيرها، ليعيشوا في كنف ولاة الأمر، الذين شجعوا العلماء على البقاء بجوارهم، لتزدان بهم عاصمتهم، وليستنيروا من علومهم ومعارفهم، فأصبحت مراكش تضاهي بغداد في ازدهار العلوم وكثرة العلماء، يقوا ابن المؤقت: "وبني يوسف بن تاشفين مدينة مراكش ... ولما ملكها عبد المؤمن صارت مدينة الخلفاء من أهل بيته، وصارت تضاهي بغداد في العظمة بكثرة الرؤساء والعلماء والأدباء".[2]

المبحث الثاني: المؤسسات الثقافية والعلمية

أ. الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب من أقدم أنواع المعاهد والمؤسسات الثقافية والعلمية، وجودا في العالم الإسلامي عامة والمغرب الإسلامي خاصة، والكتاتيب جمع كتاب وهو مشتق من الكتب، وتعليم الكتابة، ففي القاموس المحيط المكتب والكتاب موضع تعليم الكتاب أي الكتابة، والجمع الكتاتيب والمكاتب، والمعلم الذي بتولي التعليم يسمى بالمكتب أو المعلم.[3]

ويعود تاريخ إنشاء الكتاتيب القرآنية إلى العهود الأولى من تاريخ الإسلام، فبمجرد أن تم الفتح الإسلامي بالمغرب، رتب الولاة الفقهاء والقراء الذين النشء تعاليم الدين الإسلامي

[1]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ص28.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص446.

[3]- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج1، ص 121.

والقرآن الكريم، منذ ذلك الحين أصبحت الكتاتيب تتكاثر سريعا، وتتلقي دعما كبيرا من طرف السلاطين والحكام في القرن الثامن الهجري، بلغت الكتاتيب القرآنية مستوى عالي من حيث التنظيم، والمواد المدروسة، وكان المغاربة واعين بالدور الذي تؤديه هذه المؤسسة، لذلك وفروها بكثرة لناشئتهم، فعمت بالحواضر والريف.

ويشرف على الكتاب معلم قارئ حافظ القرآن الكريم، وقد يكون متقنا لبعض القراءات، وأحيانا يكون من كبار القراء.[1]

وكانت مقررات تلك الكتاتيب هو القرآن الكريم، فقد كانت العناية به شديدة، يتم تلقينه وتحفيظه للناشئة في سن مبكرة، وقد يبدأ المعلم بإعراب بعض آياته وتفسير غريبه تفسيرا وجيزا، وطريقة ترتيله وتجويده، كما يعلمهم مبادئ العلوم التي تعينهم على فهمهم معاني القرآن.

انتقد الإمام ابن عربي طريقة تحفيظ القرآن الكريم دون تعزيز ذلك بعلوم مساعدة على الفهم والاستيعاب[2]، إلا أن ابن خلدون فضل الطريقة المتبعة في سائر الديار، بما فيها المغرب الإسلامي على الطريقة التي يقترحها ابن عربي لأنها الطريقة التي تلائم عقلية الطفل ويتقبلها مستواه الفكري.

وهذه الطريقة كانت سائدة في حاضرة تلمسان، ولكنها تغيرت بوصول علماء الأندلس إليها، واستقرارهم فيها وامتهانهم التعليم.[3]

[1]- محمد مكيوي: العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة الشعبية، 2008، ص125.

[2]- ابن خلدون: المقدمة، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ص418.

[3]- ابن خلدون: المصدر نفسه، ص1039.

ب. المساجد:

عند استيلاء الموحدين على العاصمة مراكش، استشاروا الفقهاء في موقفهم من مساجد المرابطين، فأفتوهم بهدمها لأنها في رأيهم منحرفة عن القبلة[1] وكانت نصيحة الفقهاء تحقيقا لرغبة الموحدين في هدم آثار المرابطين، وطمس معالمهم.[2]

وفي عهدهم شهدت مراكش اهتماما بالغا بإنشاء المساجد والعناية بها، فضلا عن تأدية الفروض فيها، وتنفيذ تعاليم الدين[3] فشرع الخليفة عبد المؤمن بن علي في بناء جامع كبير، وهو جامع الكتبيين في سنة (553هـ - 1157م)، وحشد له مجموعة من الصنّاع، وتم بناؤه في فترة قصيرة[4]، وقد وصفه المقري بقوله: "أمروا ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش، فبدأ ببنائه، وتأسيس قبلته في العشر الأول من شهر ربيع الثاني، وانتهى بناؤه في منتصف شهر شعبان، وعلى أكمل الوجوه، وأغرب الصنائع، وأفسح المساحة، وفيه من شمسيات الزجاج، ودرجات المنبر، والمقصورة، وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان"، وتسمى بجامع الكتبيين نسبة إلى باعة الكتب الذين كانوا يروجون بضاعتهم بجانب المسجد.[5]

أم مدينة فاس فهي الأخرى، شهدت اهتماما بالغا من ولاة الأمر ببناء المساجد، فقد أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بالبناء أرجاء البلاد، وكذا بإصلاحها، يصف المراكشي مسجد مدينة رباط الفتح :"وبني أي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، فيها مسجدا عظيما، كبير المساحة، واسع الفناء جدا، لا أعلم في مساحة المغرب أكبر منه، وعمل له مئذنة في نهاية العلو

---

[1]- عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 706.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص397.

[3]- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[4]- عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ص 843 – 844.

[5]- حسن علي حسن: المرجع نفسه، ص ص 397-398.

على هيئة منار الإسكندرية، يصعد فيه بغير درج"[1]، وكذلك بنى الخليفة عبد المؤمن مسجد مدينة تينملل.[2]

كما أضاف مسجدا آخر بمدينة تازا، وسمي على اسم هذه مدينة[3]، وتميزت مآذن الموحدين بالشكل المربع، ومنه انتقلت إلى باقي مآذن المغرب الإسلامي، وكانت بعض المساجد تنار ليلا، وخاصة في ليالي رمضان.[4]

وقد جرت العادة لديهم أن لا ينصب التدريس في الجوامع الكبار، إلا من انتهت إليه المهارة في العلم والدين، وكانوا يتسابقون على هذه المرتبة، وكان أسلوب التدريس عندهم ممتازا، ويقوم على التدريج بالمتعلمين في مدارج التعليم.[5]

ومن مناهجهم في التعليم، منهج التعليم الإجباري، ويقوم هذا على أنه يجب على كل منهم أن يتعلم الضروري من العقائد، وما يتعلق بالصلاة، فقد بالغ عبد المؤمن بن علي في هذا الأمر، إذ جعله لازما على كل مكلف، الرجال والنساء، الأحرار والعبيد، ورخص لمن يفهم اللسان البربري دون العربي أن يقرأ بلسانهم عقيدة ابن تومرت البربرية، أما الذين يفهمون العربية، فمجبرون أن يقرؤوا العقيدة العربية، وأكد على الجميع في حفظ ذلك وتدبره، وملازمة قراءته وتعاهده، كما أكد على العوام، ومن في الديار في حفظ أم القرآن، وما تيسر منه، كما أنه ألزم نوابه أن يختاروا للتدريس علماء أمناء من قبلهم ليعلموا الناس.[6]

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 366.

[2]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ج2، ص151.

[3]- عبد الله علام: المرجع السابق، ص 373.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص400.

[5]- المنوني: المرجع السابق، ص18.

[6]- المنوني: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

ومن هنا نرى أن الخليفة عبد المؤمن، أشرف بنفسه على مباشرة هذا النوع من التعليم الإجباري في المساجد.[1]

ج. المدارس:

إن الموحدين لم يجدوا من المغرب الإسلامي بلادا قاحلة، من المعارف، بل بالعكس وجدوها بلغت شأنا كبيرا في هذا الميدان، وفي عهدهم كان لهم فضل عظيم على المعارف والعلوم، فقد حافظوا على ما اختاروه منها إلى حد كبير، وشجعوها، وإن تشجعيهم للمعارف التي كانت شائعة في عهدهم بلغ مبلغا عظيما، وكان تشجيعا ماديا وأدبيا، تفتنوا فيه ما شاءت لهم هممهم الكبيرة أن يتفننوا، فعمّروا المعاهد، وجلبوا كبار العلماء، واقترحوا تدوين الكتب، وعقدوا المناظرات والامتحانات، وأسسوا خزائن الكتب وأسسوا المدارس.[2]

اهتم الموحدون ببنائها، وأول من فعل ذلك الخليفة عبد المؤمن بن علي[3]، فأسس مدارس بمراكش منها المدرسة الملكية، وتعليم الأمراء الموحدين، واستدعى ابن رشد ليستعين به على تنظيمها[4]، وكذلك بنى مدرسة ملحقة بقصره لتخريج الحفاظ، ومدرسة الأوداية لتخريج ضباط البحرية[5]، وهي مدرسة تعليم فن الملاحة، ويعقوب المنصور هو الآخر أسس مدارس لا في المغرب فحسب بل وفي الأندلس كذلك[6]، ومنها مدرسة المهدية بمدينة المهدية يقول العيني :"توفي السلطان يعقوب بن يوسف صاحب بلاد المغرب والأندلس، بمدينة سلا، وكان قد ابتنى عندها مدرسة سماها المهدية".[7]

---

[1]- المنوني: المرجع السابق، ص21.

[2]- المنوني: المرجع نفسه، ص14.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 401.

[4]- المنوني: المرجع نفسه، ص 17.

[5]- إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 368.

[6]- المنوني: نفسه.

[7]- حسن علي حسن: نفسه.

وقد وصفت له مدرسة أنشأها بمراكش، بأنها مكان جليل به خزائن الكتب، ومدرسة المسجد الأعظم بطالعة، المدرسة التي سلمها المنصور للإمام أبي العباس السبتي.[1]

أما الناصر الموحدي فقد بنى عشرين مدرسة[2]، وفوق هذا فإن هناك بعض الأفراد ساهموا في إنشاء هذه المدارس، أمثال أبي الحسن الشاري السبتي، ابتنى المدرسة المنسوبة إليه ببلده سبتة.[3]

وبالنسبة لنظام بناء المدارس فكانت من طابقين وفي وسطه صحن مكشوف فيه سقيفة أو حوض ماء، وكانت بعض المدارس متصلة بالمساجد المجاورة لها، بينما كان البعض الآخر مستقلا، يضاف إلى ذلك أنها كانت تشتمل على عدة غرف وقاعة كبيرة للدرس غالبا.[4]

وكانت مناهج هذه المدارس على غرار الكتاتيب، وهو تعليم القرآن الكريم على مذهب المغاربة، وإن كانت المدرسة الملكية تمتاز بمبالغة الخلفاء الموحدين في اختيار أساتذتها الذين نذكر منهم، أبا العباس أحمد الترميذي (ت ـ 555هـ)، استأدبه الخليفة عبد المؤمن لبنيه، وأبا العباس أحمد الجراوي المالقي (ت ـ 560هـ)، أدب بني عبد المؤمن، وأبا محمد عبد الله اللخمي الإشبيلي المعروف بابن علوش(ت ـ 599هـ)، استأدبه المنصور لبنيه.[5]

وكان عبد المؤمن يدرس صغار الطلبة، بحفظ كتاب "الموطأ"، وكتاب "أعز ما يطلب"، وغير ذلك من تأليف المهدي، وكان يدخلهم في كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر، فيجتمع الحفاظ به، وهو نحو ثلاثة آلاف طالب، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريده، فيأخذهم يوما لتعليم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعوم في بحيرة صنعها

---

[1]- المنوني: المرجع السابق، ص17.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 401.

[3]- المنوني: نفسه.

[4]- حسن علي حسن: المرجع نفسه.

[5]- المنوني: المرجع نفسه، ص18.

خارج بستانه مربعة، ويوما بأخذهم ليحدقوا على قوارب صنعها لهم في ذلك البحيرة، فتأدبوا بهذه الآداب تارة بالعطاء، وأخرى بالأدب، وكانت نفقتهم، وسائر حاجاتهم من عنده، وخيلهم كذلك، ولما تحقق له المراد فيهم، عزل بهم أشياخ المصامدة عن ولاية الأعمال والرئاسة، وقال: العلماء أولى منكم فسلموا لهم، وهذا جانب من جوانب منهج هذه المدرسة على أنها كانت مخصصة لتخريج موظفين علماء.[1]

كذلك نذكر من مناهج التعليم الجامعي أن التلاميذ كانوا أحرارا في إلقاء الأسئلة على الأساتذة، كما كانوا أحرارا كذلك في اختيار الأستاذ الذي يدرسهم وكان هناك بيت للطلبة الموحدين، وكانوا مقسمين إلى طبقتين، طلبة الحضر، وهم العلماء من غير المصامدة من المغاربة والواردين على بلاد المغرب، وقد كانوا يجتمعون في البيت المخصص لهم للمناظرة، لهم رؤساء مختارون من كلية العلم منهم، عبد الله بن محمد الأنصاري يعرف بابن المالقي رئيس طلبة مراكش.[2]

[1]- المنوني: المرجع السابق، ص19.

[2]- نفسه، ص ص 28-29.

الفصل الثاني:

العلوم التي انتشرت في عهد الموحدين

تمهيد:

اعتنى المغرب الإسلامي في عهد الدولة الموحدية بالعلوم الإسلامية والفلسفية تفسيرا وحديثا، ورسخ المذهب المالكي بين الناس فحافظوا على جوهر الدين بنشر أصوله العقلية والنقلية.

المبحث الأول: العلوم النقلية.

1. علوم القرآن والتفسير:

أ. علوم القرآن:

اهتم المسلمون بالقرآن الكريم، وتلقيه من أول يوم أنزل إلى يومنا هذا، يتعبدون بتلاوته، والعمل بأحكامه من كل جوانب حياة الإنسان، تقوم بها وتصلح بها، فإشتدت العناية به في زمن الصحابة، وتم نقله وحمايته وحفظه وقراءاته مع صدق العناية والاهتمام البالغ، قد تنوعت علوم القرآن الكريم، والمؤلفات فيها فمنها ما شمل تاريخ القرآن تنزله وجمعه، ومنها ما اختص بقراءاته وتجويده، ومنها ما اهتم بتفسيره. فعلم القراءات علم يتصل بالقرآن الكريم، كلام الله عز وجل، الموحي به إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، باللفظ العربي المتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر المعجز بلفظه ومعناه.[1]

كان الرسول الكريم يعلم أصحابه كيفية القرآن والأداء، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم، تتابع الناس ما عرفوه من القراءات[2]، فاجتهد الصحابة بهذا حتى أضحى علما خاصا بعدما انتشر الإسلام في الأمصار، وأدى هذا إلى تباين في نطق ألفاظ القرآن الكريم[3]، فوضعوا

[1]- موسى إبراهيم الإبراهيمي: تأملات قرآنية، بحث منهجي في علوم القرآن، دار عمار الشهاب، الجزائر، (ب ط)، 1988، ص17.

[2]- موسى إبراهيم الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص 72.

[3]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الفقه الأندلسي: دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1977، ص20.

قواعد محكمة لقراءاته من مد ووقف، وما إلى ذلك واهتموا بتأليف الكتب في تلك الفروع، لأن مراعاة الأصول المقررة في قراءة الكتاب تؤدي إلى تقويم النطق بالآية على صورة ثابتة، وتوحيد التلاوة لأن من المتفق عليه بين علماء الأمة أنه لا يجوز أن يقرأ القرآن الكريم إلا بالقراءة المتوافرة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي تلقاها الناس عن السلف مشافهة من أفواه القراء وتعلما من القواعد التي وضعوها.[1]

وقد بلغ عدد الأساليب الرئيسية لتلاوة القرآن الكريم سبعة، وهي المعروفة بالقراءات السبع[2]، وهناك من يقول عشرة[3]، لكن بقية القراءات السبع هي السليمة والصحيحة المعتمدة عند الفقهاء والقراء.[4]

وهؤلاء القراء السبع هم: أبو عامر (ت 118 هـ)، ابن كثير (ت 120 هـ)، وعصام بن أبي النجود (ت 127 هـ)، ونافع بن عبد الرحمان (ت 169 هـ)، وأبو عمرو المازني البصري (ت 154 هـ)، وحمزة بن وهيب الكوفي (ت 154 هـ)، وأبو الحسن الكساني (ت 189 هـ).[5]

وفي هذا يقول العلامة ابن خلدون: "القرآن الكريم كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله الكريم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، إلى أن استقرت منها سبع طرق

[1]- موسى إبراهيم الإبراهيمي: المرجع السابق، ص 66.

[2]- عصام الدين الفقي، المرجع السابق، ص 20.

[3]- موسى إبراهيم الإبراهيمي: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[4]- عصام الدين الفقي، المرجع نفسه، ص 20.

[5]- ابن خلدون المصدر السابق ص 405.

معينة، تواتر نقلها أيضا بأدائها، فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءات وربما بعد ذلك قراءات أخرى لحقت السبع، إلا أن عند الأئمة لا تقوى قوتها في النقل ...".[1]

كان تركيز الموحدين في مجال التعليم، على التعليم القرآني، الذي اعتمدوه منهجا صالحا لتكوين ملكة أبنائهم المتعلمين، في هذه البلاد التي حكمها الموحدون خلال القرن السادس الهجري، وهو منهج اعتمده ولاة الدولة الموحدية وعلماؤها[2]، برز جليا في تلك البرامج الدينية، والمبادئ الموحدية التي احتلت ركنا هاما وبارزا من حياتهم[3]، فقد كان داعية الموحدين بن تومرت، فصيح اللسان، درج في بيت ديني يعشق القرآن الكريم وعلومه، فشب في هذا البيت، فارسا للقرآن، دارسا علوم الدين واللغة[4]. وكان خليفته عبد المؤمن بن علي إماما في النحو واللغة والأدب والقراءات[5]، وكان أبو يعقوب يوسف أحسن الناس ألفاظا بالقرآن.[6]

بالقرآن.[6]

و لم يقف اعتناء الموحدين بالقرآن عند هذا الحد، بل أنهم أنشئوا للمحافظة على القرآن الكريم حزبا منه يقرأ يوميا بعد صلاة الصبح والمغرب، حسبما أمر بهذا يوسف يعقوب المنصور، في سائر البلاد التي تحت طاعته[7]، وكانت لهذه العناية التي أولاها الموحدون للقرآن، أثر كبير في ازدهار الدراسات القرآنية، إذ برزت طائفة كبيرة من العلماء، اهتمت بتعليم القرآن، وبالبحث والدراسة في علومه.[8]

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، نفس الصفحة.

[2]- ابن أبي زرع، المصدر السابق ص 172.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص339.

[4]- ابن أبي زرع، المصدر نفسه ص 173.

[5]- محمد المنوي: حضارة الموحدين، المرجع السابق، ص44.

[6]- محمد المنوي، المرجع نفسه ص 34.

[7]- محمد المنوي، المرجع نفسه ص 37.

[8]- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة: دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1965، ص169.

ومن الذين اشتهروا بتدريس القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن فتح بن لبال القرشي الأموي، كان معتنيا بالقراءات، مجودا لها، أديبا شاعرا، حافظا للتاريخ، ومتقدما في علم العربية، كان يشجع الطلاب على طلب العلم، لين الجانب، لهم ناصح في تعليمه، ذكر ابن عبد الملك أن ابن لبال كان يقرض الشعر ويجيده، توفي سنة 583هـ.[1]

وأبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر بن يحي الأزدي المالكي، أخذ القراءات عن أبي إسحاق بن قرفول وأبي بكر بن خير الأشبيلي، وأبي إسحاق بن بشكوال وغيرهم، وكان من أهل التفنن في العلوم والتوسع في المعارف، مقرئا، عارفا مجودا، محدثا مكثرا، أديبا حافظا، سكن بستة مدة طويلة، فأقرأ القرآن فيها، ودرس العربية والأدب، وعلم أيضا بمراكش، حيث أخذ عنه الكثير من أهلها والوافدين عليها، ثم استدعاه أهل مالقة للتدريس فيها، فارتحل إليها، واستقر بها قائما على إقراء القراء، وتعليمه إلى توفي[2].

وأبو حسن علي بن محمد بن يوسف القرطبي اليابري المراكشي، كان حافظا للقرآن الكريم، مجودا له عارفا بالقراءات، قائما عليها، آية من آيات الله في حسن الصوت، أعجب المنصور بطيب نغمته، وحسن إيراده للقرآن، فاستدعاه، وقربه إليه، وأمره بتعليم أولاده، وبقراءة حزب في صلاة التراويح في شهر رمضان، فكان يقرأه بحرف عاصم مؤثرا إياه على غيره من القراءات، ولما خبر يعقوب أحواله، وعرف صوته وعفافه، أمره بتعليم بناته، فاعتذر عن ذلك بأنه يدرك ببصره ببعض التفرقة بين الألوان، فازداد الخليفة إصرارا لما تحقق من صدق نصحه فألزمه تعليمهن، وتوفي سنة 618هـ.[3]

[1] - المراكشي: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[2] - المراكشي: المصدر السابق ص444.

[3] - المراكشي: المصدر نفسه ص399.

ب. علم التفسير:

إن علم التفسير هو أول علوم القرآن نشأة، ومعناه لغة، الإظهار والكشف واصطلاحا، علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه.[1]

لقد نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جملا **جملا**، وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع، ومنها ما هو في العقائد الإيمانية، ومنها ما هو في أحكام الخوارج، ومنها ما يتقدم، ومنها ما يتأخر، ويكون ناسخا له[2]، وإن استعصى عليهم الأمر أحيانا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم، فيجيبهم عما استفسروا عنه، فأخذ الصحابة –رضي الله عنهم- القرآن عن الرسول عليه الصلاة والسلام، لفظا ومعنى، ونقلوه لمن بعدهم من التابعين الذين ساروا على منهج الصحابة في تلقين القرآن الكريم إلى من بعدهم مشافهة وكتابة.[3]

إن الموحدون اهتموا بالتفسير اهتماما كبيرا، فاستدعوا المفسرين من الأندلس ليتعاونوا مع المفسرين المغاربة، الذين نبغ منهم في هذا العهد علماء كثيرون منهم:

- **أبو الحسن علي بن احمد التجيني الحرالي المراكشي (ت 637هـ)**، أقرأ الفاتحة في نحو ستة أشهر، وابتدع علما جديدا لقواعد التفسير، فكان يلقي في التعليم قوانين تنزل في علم التفسير، منزلة أصول الفقه من الأحكام، وعلى أحكام هذه القوانين ألف كتاب "مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل".[4]

[1]- بوداعة بحادي: الرسالة السابقة ص 67.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ص 406.

[3]- موسى إراهيم الإبراهيمي: المرجع السابق، ص 74.

[4]- المنوني: المرجع السابق، ص33.

- **وعبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسي القصري (ت 608 هـ)**، ألف في تفسير القرآن، وفسر مشكل الكتاب والسنة، يقع هذا التفسير في ستين مجلدا، فسر في كل مجلد حزبا واحدا من القرآن.
- **وأبو العباس أحمد بن فرتوت السلمي الفاسي (ت 660هـ)**، ألف في الأعلام المبهمة في القرآن، كتابة "الإستدراك والإتمام".[1]
- **وأبو الحسن علي بن محمد الغرناطي المفسر**، نزيل مراكش، وكان عالما زاهدا، يجمع إليه الناس فيفسر لهم القرآن من أوله إلى آخره، وأبو بكر محمد بن علي المعافري السبتي، عرف بابن أجوازي.

ومن المؤلفات في التفسير، تفسير لأبي بكر بن الجوزي، ومن التفاسير التي اعتن بها المغاربة كتاب الوجيز لعبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي (ت 541 هـ)، وفي كتابه لخص التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة[2]، ولم يكن اشتغالهم في هذا العهد بالتفسير العادي فقط، بل تجاوزه إلى الاشتغال بالتفسير بالإشارة، وممن اشتغل به الحرّالي الآنف الذكر، قال الذهبي: "له تفسير فيه أشياء عجيبة، تكلم في وقت خروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج"، وكان تفسير ابن برجان بالإشارة له رواج في عصر الموحدين، ذكر أبو زكرياء يحيى بن أبي الحجاج في كتابه "الصلة"، أنه نشأ بمراكش،انتقل إليها صغيرا، وقال: "وهو الذي استخرج من تفسير أبي الحكم بن برجان من كلامه على سورة (الم غلبت الروم)، فتح بيت المقدس في الوقت الذي فتح فيه على المسلمين، ووقف عليه المنصور، فبقي مرتقبا له، ومعتنيا في نفسه به حتى كان ذلك على حسب ما قاله...."[3].

[1]- محمد المنوني: المرجع السابق، ص36.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 484.

[3]- محمد المنوني: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

2. علوم الحديث:

السنة هي ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال، وأقواله هي ما اصطلح على تسميته بالحديث، وهي تعد المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وهي تكملة له، حيث لا غنى عنها في فهم القرآن، وأحكام الدين، لذا انصبت جهود العلماء على العناية بها رواية ودراية، فألفت فيها المؤلفات العظيمة التي ظلت على جبين التاريخ، تشهد بعظمة الأمة المسلمة التي حفظت حديث نبينها، وتفردت بمنهج في النقل لم تدانيها فيه الأمم الأخرى.[1]

قسم علم الحديث إلى عدة أصناف حيث يسمى الحديث الذي له أسباب الصحة "صحيحا" أما الذي لا يجمع الناس على الثقة يسمى "حسنا" أما الذي يشك في إسناده أو ينسب إلى أشخاص ذوي مذاهب منحرفة فيسمى "ضعيفا"، وعلى هذا الأساس تبنى الأئمة الستة جمع الحديث، وتدوينه وتصحيحه، وهؤلاء هم الإمام البخاري (ت 259هـ)، والإمام مسلم (ت 261هـ)، والإمام أبي داوود (ت 275هـ)، والترمذي (ت279هـ)، وابن ماجه (ت 272هـ)، والنسائي (ت 303هـ)[2].

ازدهر علم الحديث في عهد الموحدين ازدهارا لم يكن له من قبل، واستمد نهضته من اهتماماتهم به اهتماما كبيرا، ظهر في استدعائهم للمحدثين من الأندلس، وأمرهم بتدريسه إلى جانب المحدثين المغاربة[3] وظل الحديث يتطور بفضل مجهودات العلماء إلى أن وصل ذروته في عصرهم، فلم يجر العمل بالحديث بصفة رسمية إلا في زمنهم، وخصوصا زمن يعقوب المنصور الموحدي الذي كان عالما بالحديث، يحفظ متونه وينقلها، وهو الذي نظم قراءة الحديث[4]، وظهر أيضا ذلك الاهتمام في المكانة الكبرى، التي كانت لطلاب الحديث في دولتهم، وبخاصة

---

[1]-السيوطي: طبقات الحفاظ: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1982، ص ص 212-229.

[2]- بوداعة نجادي: الرسالة السابقة، ص 80.

[3]- المنوني: المرجع السابق، ص35.

[4]- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، القسم الأول، 1966، ص83.

أيام يعقوب، ونال عنده طلبة الحديث ما لم ينالوه في أيام أبيه وجده،وكان خلفاء وأمراء الدولة الموحدية محدثين حفاظا، فيوسف كان يحفظ أحد الصحيحين، ويعقوب كان يحفظ متون الأحاديث ويتقنها، والمأمون كان محدودا من حفاظ الحديث، وكان أيام خلافته يسرد كتب الأحاديث مثل: البخاري والموطأ وسنن أبي داوود، وكذا الأمير إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن.[1]

ظهر بالمغرب محدثون كبار أمثال:

- **أبو الخطاب بن دحية السبتي**، حفظ صحيح مسلم كله، وقد امتحن علماء مصر حفظه للحديث، فذكروا له أحاديث بأسانيد حولوا متونها، فأعاد هذه المتون المحولة، وعرف عن تغييرها ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه من متونها الأصلية.
- **وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني الشريف الصقلي الفاسي،** كان راويا للحديث، حافظا لمتونه، بصيرا بعلله، عارفا برجاله، مشرفا على طبقاته وتواريخه، عني بهذا الشأن أتم عناية، ودرسه ببلده.
- **وأبو الحسن علي عبد الملك الكتامي الحميري القاسي يعرف بابن القطان، من** أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لأسماء رجاله، وأشدهم عناية بالرواية، وإن له في تفسير غريب الحديث، وإليه كانت النهاية والإشارة في عصره[2].
- **وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن هارون المرادي القاسي،** كان أحفظ أهل زمانه للحديث، واذكرهم للتاريخ والجرح والتعديل، والخلاف العالي، يقوم على الكتب الخمسة قياما حسنا، ويتكلم على أسانيدها، ومتونها، لم يكن له في عصره مثيل.[3]

[1] - المنوني: المرجع السابق، ص36.

[2] - المنوني: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[3] - المكناسي: المصدر السابق، ص84.

- **وأبو عبد الله محمد بن يحي بن صاف**، يعرف بالمواق المراكشي، ثم الفاسي، كان حافظا، محدثا، ألف شرح مقدمة صحيح مسلم، وجملة من شرح الموطأ، وقف عليها ابن عبد الملك وقال إنها في غاية من النبل وحسن الوضع.[1]

3. الفقه:

كان القرآن الكريم أول مصدر مكتوب للتشريع الإسلامي، وهو ما أوحى به الله سبحانه وتعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، في مسائل العقيدة والأخلاق، والشريعة، ليبلغه إلى المسلمين كافة، وقد جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان، وكان الاعتماد في ذلك على قراءة زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وبعد ذلك بقليل اعتبرت السنة مصدرا ثانيا من مصادر التشريع إلى جانب القرآن.[2]

وفي عهد الموحدين ألف ابن تومرت مذكرات للموحدين في عقيدته التوحيدية الجديدة، وفي المهداوية والإمامة والعصمة، فوضع لهم مذكرات فقهية في العبادات، وهذه الفصول الفقهية، هي عبارة عن أحاديث انتقاها من موطأ الإمام مالك، وجردها من الأسانيد، ومن أسماء العلماء واختلافاتهم.[3]

وبعد وفاة ابن تومرت، قام عبد المؤمن بجمع آثار المهدي العلمية سواء في التوحيد أو المهداوية أو الفقه، في كتاب واحد وسماه. "أعز ما يطلب"، وقد أصدر عبد المؤمن أمرا بإحراق كتب الفقه التي كانت في حوزة الفقهاء، ورد الناس إلى كتب الحديث، وفي مقدمتها موطأ الإمام مالك لاستنباط الأحكام الفقهية منها مباشرة[4].

---

[1]- المنوني: المرجع السابق، ص36.

[2]- نفس الرسالة السابقة، ص71.

[3]- عبد الله علام: المرجع السابق، ص307.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص466.

وقد ازدهر الفقه في هذا العهد ازدهارا كبيرا، وأنه نهض في مظهرين، وشاع في مذهبين: المذهب الظاهري والمذهب المالكي.

أولا: المذهب الظاهري:

هذا المذهب كان محبوبا من طرف الخلفاء الموحدين، وبصفة خاصة لدى يعقوب المنصور، فقد بلغ من إعجابه به إلى حد أن كان يقول عن أحد أشياخ الظاهرية الكبار: "إن كل العلماء عيال عليه"، فقد حمل الناس بالفعل على المذهب الظاهري وأحرق كتب المالكية، كما أن ملوك الموحدين قد تحلوا بالمذهب المعروف لهم من إيثار الرأي في الفروع الفقهية، والعمل شرعا على محض الظاهرية، وجروا على ذلك سنين إلى أن انقرضوا أولهم في ذلك مهديهم أول ملوكهم.[1]

وهذه الفكرة متأصلة من ابن تومرت، ولكنها لم تظهر إلا على عهد يعقوب الذي أبرزها ونفذها بالفعل، إن عبد المؤمن أمر بحرق كتب الفروع، ولم يذكر أن هذا الأمر نفذ لأن التنفيذ غير واقع، ولو وقع لكان جذيرا بالتصريح به والتنصيص عليه، فوقفت المسألة عند حد الأمر، ولم تدخل إلى حيز التنفيذ، وفي خلافة يعقوب هو الآخر حمل الناس على المذهب الظاهري، وتوعد من يخالفه في أمره، وانقطع علم الفروع، وخافه العلماء[2] وأمر بإحراق كتب المذهب المالكي بعد أن يجرد ما فيها من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن، ففعل ذلك، أحرق منها جملة في سائر البلاد، "كمدونة سحنون"، وكتاب "أبي يونس" و"نوادر ابن أبي زيد ومختصره"، وكتاب "التهذيب" للبرادعي و"واضحة ابن الحبيب" وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها.[3]

---

[1]- المنوني: المرجع السابق، ص ص 37-38.

[2]- المنوني: المرجع نفسه ص38.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق ص466.

ومن المغاربة الذين كانوا يتحلون بهذا المذهب، أبو الحسن علي بن محمد بن البلنسي الأصل الفاسي (ت 605هـ)، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن هارون يعرف بابن الكماد (ت 633هـ)[1]، وكذا أبو الخطاب بن دحية السبتي (ت 633هـ)، وكانوا معتنقين للمذهب الظاهري[2].

بقدر ما كان الخلفاء الموحدون محبين للمذهب الظاهري[3]، وأظهروا تعظيما لهذا المذهب كبديل للمذهب المالكي[4]، كان أكثر فقهاء عصرهم من المغاربة، وغيرهم ساخطين عليه، متعصبين للمذهب المالكي، مناصرين له، من بينهم:[5]

- **أبو محمد يشكر بن موسى الجوارائي الغفجومي ثم الفاسي**، له حواشي على المدونة، وعبد الرحيم بن عمر اليزناسي، كان يعيش نحو أواخر القرن السادس، إمام في فقه مالك، وأبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي، ألف مناهج التحصيل فيها للأئمة على المدونة من التأويل.
- **وإسحاق بن إبراهيم الغماري السعيدي المجابري**، قاضي فاس وسبتة (ت 609هـ)، فقيه مالكي، حافظ للرأي، قائم على المدونة، وأبو زيد عبد الرحمن بن يوسف الفاسي الشهير بابن زانيف (ت 612هـ)، كانت تشد إليه الرحال في مذهب مالك، وكان يقوم على المدونة قياما تاما.

---

[1]- المكناسي: المرجع السابق ص84.

[2]- المنوني: نفسه ص39.

[3]- المنوني: المرجع السابق ص39.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق ص467.

[5]- المنوني: نفسه.

- **وأبو محمد عبد الحق بن عبد الله الأنصاري المهدوي الأصل (ت 631هـ)**[1]،

تقلد القضاء في عاصمتي الموحدين مراكش بالمغرب، واشبيلية بالأندلس[2].

كما أن إجراءات المنصور ضد المذهب المالكي، وميله للمذهب الظاهري[3] كانت تفت في عضد علماء المالكية، وظل علماء المذهب يكافحون في سبيل بقاء المذهب الذي ارتبط بالشعب ارتباطا وثيقا، متغلغلا في نفوسهم، ممتزجا بأرواحهم، وقد عارض علماء المالكية خطوات المنصور الموحدي، ومن هؤلاء محمد بن سعيد الأنصاري الذي تابع تدريس كتب المالكية، حتى أمر المنصور بسجنه في سبتة، ومحمد بن خلف التجيبي (ت 599هـ)، وأبو الحسن بن زرقون وقد توفي أبو بكر الحياني المالكي نتيجة التعذيب، وذلك لإصراره على التدريس بمذهب الإمام مالك.[4]

4. علم الكلام:

ويقصد به العلم الذي يبحث في العقائد بالأدلة العقلية، والرد على المخالفة بعلم الكلام، وقد كان هذا العلم، محرما إبان حكم المرابطين، ذلك بأن الدولة المرابطية رفعت شعار مذهب الإمام مالك الذي يقضي بالإيمان المطلق بكل ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، مع عدم التعرض لتأويل المتشابه من آيات القرآن الكريم، كان هذا هو دأب المغاربة في ديانتهم طوال عهد المرابطين، إلى أن جاء المهدي بن تومرت بمذهبه الجديد الذي يدعو إلى تأويل المتشابه من القرآن الكريم والحديث، حتى لا يقع الناس في التجسيم، الذي كان يرمي به خصومه المرابطين، وبذلك يكون أول من حمل المغاربة على الأخذ بمذهب التوحيد الكلامي، وكان من نتائج هذا العلم في الدولة الموحدية، أن وقف إلى حد ما بين آراء الفقهاء،

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[2]- المنوني، المرجع السابق، ص 40.

[3]- المنوني، نفسه.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق ص468.

والمتكلمين، والمتصوفة، مما أدى إلى تخلي فقهاء المالكية عن التعصب، والتزمت الذي عرفوا به في عهد المرابطين.[1]

وكان ابن تومرت في مذهبه الكلامي يمزج بين عدة مذاهب كلامية، يقول عبد الواحد المراكشي عنه أنه : "كان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل، إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها ...".[2]

لقد ازدهر هذا العلم في عصر الموحدين ازدهارا، ناهيك منه أن الأندلسيين، كانوا يرحلون إلى المغرب لقراءته.

ومن أعلام هذا العلم بالمغرب:

- **أبو الحسن علي بن محمد الأندلسي المعروف بابن الإشبيلي (ت 567هـ)**، وهو الذي قرر علم الأصول، وعلم الكلام، بمدينة فاس، حيث استقر بها.
- **وعثمان بن عبد الله القيسي القرشي[3] المعروف بالسلاجي (ت 564هـ)**، تلميذ أبي الحسن، وإليه مرجع الفاسيين في علم الكلام، وهو منفذ أهل فاس من التجسيم، ومختصره في التوحيد المسمى بالعقيدة البرهانية، والذي لازال مخطوطا مشهورا، وقد شرحه، أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري الإشبيلي المعروف بالخفاف.
- **وأبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوي، الفاسي**، يعرف بابن الكتاني، وأبو الحسن علي بن محمد الخزرجي الإشبيلي الأصل، الفاسي، يعرف بابن الحمار (ت 611هـ)، كان إماما في علم الأصول والكلام[4].

---

[1] - عبد الله علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1971، ص303.

[2] - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ص 275.

[3] - المنوني: المرجع السابق، ص40.

[4] - المنوني: المرجع نفسه، ص42.

ومن نوابغ علم الكلام، مسألة المهدوية والعصمة عند ابن تومرت، فقد كانت هذه في أول أمر الموحدين عقيدة مفروضة لا مجال للبحث فيها، لقد بلغت من السمو أول أيامهم إلى حد أن بعض علمائهم وضعوا تأليفا في إثبات الهداية الموحدية، ولئن بلغت هذه العقيدة أول أيام الموحدين إلا أنها لم تلبث أن أخذت تفقد صولتها، فقد كان يعقوب المنصور، لا يرى رأي الموحدين في ابن تومرت، ولا يقول بعصمته، ثم أجهز على هذه العقيدة تماما إدريس المأمون الموحدي، الذي لعن ابن تومرت فوق منبر جامع المنصور، بمراكش قال: أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم، وادعوه باللغوي المذموم، ثم كتب إلى جميع البلاد بتغيير سير المهدي وما كان ابتدعه الموحدين، وجرى عليه عملهم، وسير ملوكهم.[1]

5. علوم اللغة وآدابها:

لقد صاحب نمو الحركة الفكرية في المغرب الإسلامي، انتشار اللغة العربية، إذ أنها لغة المكاتبات، واللغة الرسمية للبلاد، في معاملاته وشؤونها، وزاد من انتشارها، أفواج العلماء القادمين من خارج البلاد، والذين أثروا في الحياة الفكرية بدروسهم ومؤلفاتهم، وكانت ثقافة ولاة الأمر تقوم على الثقافة الإسلامية، ووسيلتهم في ذلك اللغة العربية، إضافة إلى هذا عامل هام شهدته البلاد في عصر الموحدين هو مجيء العرب الهلالية إلى بلاد المغرب، واستيطانهم ببعض مناطقها، واحتفاظ هؤلاء البدو باللسان العربي، وما فيه من مفردات وتراكيب، وبلاغة في الأساليب[2].

ازدهرت دراسة اللغة والنحو، والبيان والعروض، وكانت هذه العلوم شائعة في عهد الموحدين، ولاسيما اللغة والنحو، فقد بلغا غاية كبرى[3]، وكثر النظر في مسائلها، خاصة وأن داعيتهم ابن تومرت، كان ممن تعمقوا في دراسة اللغة العربية بالمشرق، وعاد إلى بلاد المغرب

[1] - المنوني: المرجع السابق، ص ص 42-43.
[2] - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص478.
[3] - المنوني: المرجع نفسه، ص 44.

مزودا بعلم غزير، وكان خليفته عبد المؤمن إماما في النحو واللغة والأدب والقراءات، ذاكرا للتاريخ[1]، وكان ابنه يوسف أعرف الناس، وأعلمهم بمسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية[2]، وكان خلفه يعقوب المنصور عالما باللغة، مشاركا في كثير من العلوم.[3]

وقد ظهر في هذا العهد لغويون، حفاظا كبار، منهم: أبو الخطاب بن دحية، وأخوه أبو عمرو بن دحية، ومن اللغويين المغاربة نذكر، أبا القاسم علي بن حمزة البصري اكتشف بمكتبة القرويين أوراقا في اللغة، كتبها برباط الفتح سنة (586هـ) وكذا عبد الله محمد بن عيسى الأزدي المعروف بابن المناصف، وكان له حظ وافر من اللغة، وله فيها أرجوزته الألفية، المسماة المذهبة في الحلي والشيات وغيرها، نظمها بمراكش، وتوجد نسخة منها بمكتبة برلين، وفي بعض المكاتب بالمغرب.[4]

وعلم النحو كذلك ازدهر في مدن المغرب الثانوية، ومنها طنجة التي كانت أحد مراكز النحو، وفي هذا العهد رفع نحاتها ومقرؤوها أسئلتهم للنحويين والمقرئين، من اهل اشبيلية، حتى انتدب الجواب عنها في تقييد خاص لأبي بكر محمد بن خلف اللخمي الاشبيلي.[5]

وكان رئيس نحاة المغرب في هذا الوقت هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي (607هـ)، ألف المقدمة المشهورة، وتسمى بعدة أسماء، بالمقدمة الجزولية، وبالجزولية، وبالقانون والاعتماد، وهي كتاب جليل في هذا الفن، قال عنها ابن خلكان:" لقد أتى فيها بالعجائب، وهي في غاية الإنجاز، مع الاشتمال على شيء لكثير من النحو، واعتنى بها جماعة

[1]- ابن أبي زرع: المصدر السابق ص203.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 237-238.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 216.

[4]- المنوني: المرجع السابق، ص44.

[5]- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

من الفضلاء، فشرحوها، ومنهم من وضع لها أمثلة، ومع هذا فلا تفهم حقيقتها، وأكثر النحاة يعترفون بقصور إدراكهم المراد منها، فإنها كلها رموز وإشارات".

ومنهم أيضا:

- **أبو عبد الله يحيى بن داوود المراكشي**، مبرز في النحو، متحقق به درس طويلا.
- **وعبد الرحمن بن محمد المصمودي (ت 649هـ) النحوي**، كان يقرأ كتاب سبويه، وأبو عبد الله محمد العبدري الفاسي، يعرف بالصرفي (ت 651هـ)، من أئمة النحو وحفاظه.
- **وعبد الله محمد بن هشام السبتي (ت 570هـ)**، عالم لغوي نحوي، كان قائما على العربية واللغة، وألف فيهما، كتاب الفصول والجمل في شرح أبيات الجمل، وإصلاح ما وقع في شواهد سبوبه، وفي شرحها للإعلام.[1]

وعلوم البيان هي الأخرى كان لها بعض الرواج على عهد الموحدين، سيما في أواخره، فأبرز شخصياته، ابا عبد الله العابد الأنصاري الفاسي، اختصر الكشاف للزمخشري، فإن هذا الكتاب لا يمكن قراءته فضلا عن أن يختصره إلا من كانت له ملكة تامة في هذه العلوم.[2]

كذلك علم العروض كان شائعا في هذا العهد، وممن ألف فيه أبو ذر مصعب مسعود الجياني الأصل له فيه تأليف صغير.[3]

[1]- المنوني: المرجع السابق ص 44.

[2]- نفسه، ص45.

[3]- نفسه.

المبحث الثاني: العلوم العقلية:

1. التاريخ:

إن التاريخ ازدهر بهذا العهد ازدهارا، يتناسب ومقام الموحدين العلمي، وظهرت طائفة كبيرة من المؤرخين المغاربة كتبوا تواريخ عديدة[1]، وألفوا مؤلفات كثيرة إلا أن بعضها فقد[2]، وتناولوا كثيرا من فنون التاريخ، فألفوا في السير، والأنساب، والتراجم وتاريخ الملوك، وتاريخ البلدان وفي غير ذلك.[3]

أولا. فن السير:

أول من ابتكر التأليف في مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، كانا من أهل سبتة، وأولها هو أبو العباس أحمد بن محمد العزفي اللخمي (ت 557هـ-633هـ) له، "الدر المنظم في مولد النبي المعظم صلى الله عليه وسلم"، وقد أكمله ولده أبو القاسم، ذكر فيه بعض ما خص به النبي الكريم، وفضل به، وما أمكن به عليه وعلى أمته، أما ثانيتها فهو أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية المعروف بابن الجمل (547هـ-633هـ)، ألف "كتاب التنوير، في مولد السراج المنير".[4]

ومن مؤلفات المغاربة الأخرى في السير، "اللمعة في ذكر أزواج النبي الكريم وأولاده السبعة"، تصنيف أبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي القاسي (ت 603هـ)، وكتاب "نهاية السول، في خصائص الرسول والآيات البيان" في ذكر ما في أعضاء رسول الله

[1]- المنوني: حضارة الموحدين، المرجع السابق، ص47.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص503.

[3]- بوداعة نجادي: الرسالة السابقة، ص 122.

[4]- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، مطبعة بولاق، القاهرة، 1399هـ، ص482.

الكريم من المعجزات، أما من ملحقات السير، كتاب "الإعلام المبين"، في المفاضلة بين أهل صفين، لأبي الخطاب ابن دحية.[1]

ثانيا. فن النسب:

وهذا الفن كان به اعتناء في هذه الدولة، ومن مظاهر هذا ما كان ذكره أبو القاسم الزياني في كتابه "تحفة الجادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب"، فإنه بعدما ذكر أن منصب النقابة في بني أمية، وبني العباس، كان يعدل منصب الوزارة، فقال: وكذلك كان شأن النقابة بالمغرب أو قريب منه أيام لمتونة والموحدين.

كما ألف كتابا "الأنساب في معرفة الأصحاب" لمؤلف مجهول، كان يعيش في عصر الموحدين، وقد عثر الأستاذ، م، ليفي بروفنسال في مكتبة الأسكوريال على تأليف مقتبس منه فأخرجه، وصححه، وترجمه للفرنسية ونشره سنة 1928.[2]

ثالثا. التراجم:

قامت للكتب التراجم سوق في دولة الموحدين، ومنها "ذيل الصلة البشكوالية" لأبي العباس أحمد بن فرتوت السلمي الفاسي (ت 660هـ)[3]، ومما يدل على أهميته، ما ذكره الأستاذ بروفنسال في تصديره للقسم المطبوع من "صلة الصلة" ومن مراجع الدر النفيس، كتاب "المستفاد في ذكر الصالحين، والعباد بمدينة فاس، وما يليها من البلاد"، تصنيف أبي عبد الله التميمي، و"بستان العابدين وريحان العارفين"، في ذكر أهل الصفوة، والانقطاع إلى الله بالخلوة" للمؤلف المذكور و"التشوق إلى رجال التصوف" لأبي الحجاج يوسف بين يحي التادلي

[1] - المنوني: المرجع السابق، ص47.

[2] - نفسه، ص 48.

[3] - ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق ص 84.

(ت 627هـ)، هو مخطوط محفوظ بعدة خزائن، ويضاف لكتب التراجم الجزء الذي عقده أبو عبد الله القاضي عياض لترجمة والده، ونقل عنه في الديباج وأزهار الرياض.[1]

رابعا. تاريخ الملوك:

كتاب "المجموع في تاريخ الموحدين"، لمؤلفه الغير معروف من أهل هذا العصر، اقتبس منه البيدق في تاريخه، وقد يكون من مصادر كتاب "الأنيس المطرب"، ينقل عنه باسم بعض المؤرخين، و"تاريخ الموحدين" لأبي بكر بن علي الصنهاجي المكن بالبيدق، وهو عبارة عن مذكرات، كتبها المؤلف المذكور عن مطبوع مترجم أيضا ضمن كتاب أخبار المهدي للبيدق.[2]

خامسا. تاريخ البلدان:

يأتي في مقدمة المؤلفات "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي[3]، ولد بمدينة مراكش حاضرة الدولة الموحدية سنة 581هـ، في حكم الخليفة المنصور، رحل إلى مدينة فاس، فحفظ القرآن ودرس القراءات والنحو والأدب والتاريخ[4]، أما ابن القطان فلا نعلم عنه أكثر مما ذكره الأستاذ ليفي بروفنسال في مقدمة مجموع رسائل موحدية، انه عثر على جزء من كتاب "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان"، يشمل على تاريخ ابتداء الموحدين[5]، كما أنه ألف كتابه "في تاريخ المغرب بعامة ودولة الموحدين بخاصة"، اعترافا منه بفضل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن.[6]

---

[1]- المنوني: المرجع السابق، ص ص 48-49.

[2]- نفسه: ص50.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق ص504.

[4]- عبد الله علام: المرجع السابق، ص19.

[5]- المنوني: المرجع نفسه، ص51.

[6]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص504.

وبعد ابن القطان يأتي ابن صاحب الصلاة، إن هذه الكنية أطلقت على واحد من فضلاء الأندلسيين.[1]

وهو أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي المتوفي في أواخر القرن السادس الهجري، أو مطلع القرن السابع في عهد الدولة الموحدية، و"كتابه المن بالإمامة على المستضعفين"، وهو مكون من ثلاثة أجزاء، وضاع منه الجزء الاول والثالث، والذي وصل إلينا هو الجزء الثاني، أما الجزء الأول فقد عرض أخبار المهدي بن تومرت، وأعمال عبد المؤمن بن علي حتى نهاية 535هـ والجزء الثالث قد ابتدأ بأحداث سنة 569هـ حتى قبل وفاة ابن صاحب الصلاة، وفوق هذا كان أديبا، بارعا، وهذا من خلال أسلوبه العذب الذي وظفه في الكتاب.[2]

2. الجغرافيا:

لمع في هذه الفترة بعض الجغرافيين المغاربة، ويأتي في مقدمتهم أبو عبد الله محمد الإدريسي[3]، هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي السبتي، من نسل الإمام إدريس الفاتح العربي الشهير، ولد بسبتة سنة 494 هـ وتوفي في صقلية سنة 562هـ[4]، ألف كتابة المشهور "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"[5]، وكان الإدريسي يجمع بين عدة ثقافات أهمها الجغرافية والأدب[6].

---

[1]- المنوني: المرجع السابق، ص 52.

[2]- عبد الله علام، المرجع السابق، ص ص 17-18.

[3]- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار السلمي، الدار البيضاء، ط1، 1960 ، ص 247.

[4]- المنوني: المرجع ، ص52.

[5]- إبراهيم حركات: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[6]- حسن علي الحسن، المرجع السابق، ص 504.

قسم الإدريسي في كتابة الأرض إلى سبعة أقاليم، ثم قسم كلا من هذه الأقاليم إلى عشرة أقطار متساوية، وهدفه من تقسيم الأرض إثبات درجات العرض وتحديدها وقد أفلح في هذا إلى حد كبير.[1]

وقد وصف في كتابة البلاد والممالك والمسالك التي ترتبط بين أجزاء الأرض، ثم ذكر المسافات بالميل ودرجات الأرض، كما أعطى وصف الجبال والأنهار، والبحار وأجناس الناس والحيوانات والنبات والمعادن، وتحدث عن الصناعات والمتاجر، وتكلم عن الديانات والمذاهب واللغات والأزياء والعادات والتقاليد، وللإدريسي مؤلفات أخرى هي "روض الأنس ونزهة النفس" أو كتاب "المسالك والممالك"، وهو نسخة كبيرة منقحة من نزهة المشتاق، جاء في عقود الجمان :"أن ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، كان كثيرا ما ينشد بيتي القاضي عبد الوهاب".

ومن أعجب الأشياء أنـ ـك قاعـ ـد على الأرض في الدنيا وأنت تسير
وسيرك يا هـ ـذا كسيـ ـر سفينـ ـة بقـــوم قعود والشـــراع تطيـــر[2]

ومما يدل على علو كعب المغاربة في السياحة إنشاؤهم فرقا للكشفية، وإنهم الذين اهتدوا لتأسيس فرق رياضية، أعطوها اسم الكاشف، فقد ذكر بعض الباحثين عن الخليفة الموحدي عبد المؤمن أنه لما اجتاز الجواز الثاني للأندلس، وجد عقبة بن الحجاج والي الأندلس، أنشأ طائفة من الفرسان، لتوطيد الأمن في البلاد سماها الكاشف، وعاين نظامها عبد المؤمن، وأعجب بها، فلما رجع إلى المغرب أحدث المدارس وأسس فيها الألعاب الرياضية وطورها،

[1] - المنوني: المرجع نفسه، ص59.
[2] - المنوني: المرجع نفسه، ص64.

وبهذا العمل يكون المغرب قد سبق أوربا لهذا الابتكار، ويكون عبد المؤمن هو مؤسس الأول للكشفية.[1]

3. الطب والصيدلة:

نال الطب عناية الموحدين، ولا سيما في عهد الخلفاء الثلاثة عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف، وحفيده يعقوب المنصور[2] واهتموا به اهتماما فائقا، ففوق اعتنائهم بالطب الخاص بهم، كذلك اعتنوا بشؤون الرعية الصحية، فبنوا المستشفيات، ونظموا هذه المهنة، وجعلوا لها رؤساء، منهم: أبو جعفر الذهبي الذي كان مزاورا للأطباء، كما كان مزاورا للطلبة، وكان الطب يدرس في عهدهم بالمغرب، ومن أساتذته، أبو الحجاج يوسف درس الطب على يد أبي العباس الكنباوي بمراكش، وكذا ابن حسان الذي استقر بالمغرب آخر عمره إلى أن توفي بفاس، وكان مقرئا للطب، وفن الصيدلة هو الآخر، كان له ازدهارا على هذا العهد، وكان موظفا بمستشفى مراكش.[3]

ومن رجالات الطب والصيدلة في عهد الموحدين، يوسف الموحدي[4]، كان من عشاق الطب، حتى اعتبر من الأطباء[5]، كما كان له طموح في هذا العلم، وكان يستظهر من الكتاب المعروف بالملكي أكثره، مما يتعلق بالعلم خاصة، دون العمل، وأنشأ يوسف المنصور مستشفى للشعب بمراكش[6]، والطبيب السبتي أبو الحسن علي بن يقظان، وأبو بكر يحي بن بقي السلوي (563هـ)، اشتغل بالطب وظهر فيه، فكان يعيش نفسه مما يعود عليه منه، الشريف الإدريسي ألف الكتاب الجامع لصفات أشتات النبات، وهو أحد الكتب التي اعتمدها ابن البيطار في

---

[1] - المنوني، المرجع السابق، ص 67.

[2] - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 190.

[3] - المنوني: المرجع نفسه، ص88.

[4] - المنوني: نفسه.

[5] - المراكشي: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[6] - المراكشي: نفسه.

تأليف كتابه في النبات، كما ألف كتابا في الصيدلة، والطبيب سعيد الغماري وأبو الحجاج يوسف بن يحيى بن إسحاق الفاسي المغربي (ت 623هـ)، قرأ ببلاده، وكان فاضلا في صناعة الطب والهندسة، وعلم النجوم، وأبو الحجاج يوسف بن فتوح القرشي (ت 561هـ)، ألف في "معرفة النبات" وزيادة على هذا كان بالمغرب في هذا العهد عدد وفير من الأطباء والصيادلة الآخرين بهدف خدمة الخلفاء، وخدمة المارستانات، ومنهم[1]:

- **في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي (526هـ - 558هـ):**

كان كبيباه أبو مروان عبد الملك بن زهر الأبادي (ت 557هـ)، ألف للخليفة المأمون "الترياق السبعيني" كما ألف له كتابا في الأغذية، وقد أثر ابن زهر على الطب الأوربي، تأثيرا بليغا، وظل هذا إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، وذلك بفضل ترجمة كتبه إلى العبرية واللاتينية، وأبو بكر محمد الحفيد (ت 507هـ - 595هـ)، خدم بالطب عبد المؤمن، وبعده يوسف ثم يعقوب المنصور، ثم محمد الناصر[2].

- **في عهد الخليفة يوسف: (558هـ - 580هـ):**

أطباؤه، الوزير أبو مروان عبد الملك بن قاسم القرطبي (ت 575هـ)، الوزير أبو بكر بن طفيل القيسي الوداشي (ت 581هـ)، وأبو جعفر هارون الترجالي الاشبيلي، وأبو الوليد بن رشد، استدعاه يوسف إلى مراكش لتعليم الطب، وخدم أيضا المنصور والناصر، وكان يلاقي احتراما خاصا منهما.[3]

[1] - المنوني: المرجع السابق، ص88.

[2] - نفسه، ص90.

[3] - نفسه.

- **في عهد المنصور أبو يوسف يعقوب (580هـ - 595هـ):**

من أطبائه نذكر، عبد الله بن علي بن غلنده الأموي (ت 581هـ)، وأبو جعفر أحمد بن حسان القضاعي البلنسي (ت 598هـ)[1]، ألف للمنصور كتاب "تدبير الصحة" وأبو جعفر بن الغزال، وكان الخليفة يعتمد عليه في الأدوية المركبة والمعاجين ويتناولها منه.[2]

وبتشجيع هذا العلم من طرف الخلفاء، كان هذا سببا في تقدم الصيدلة في المغرب والأندلس، فقاموا بزراعة النباتات، الخاصة لصناعة مواد الزينة والتجميل[3]، وبخاصة أن النباتات كانت من أبرز المواد لصناعة الأدوية، وهذا لكونها أكثر تعدادا وتشبعا، وأسهل منالا، فزاد لذلك اهتمام الأطباء الصيادلة بها.[4]

4. الفلسفة:

ازدهرت العلوم، ونشطت الحركة العلمية، وكان من جملتها الفلسفة التي بلغت أوجها على يد ابن رشد، وطلبته، فبعضهم كان من المغرب الأوسط، ومن أشهر الكتب والمؤلفات "الرسالة" لابن رشد، و"إحياء علوم الدين للغزالي".[5]

في عهد الموحدين جاء ابن تومرت بدعوته التي تدعوا إلى التحرر الفكري، ومحاربة الجمود العقلي، انطلقت الفلسفة من عقالها، وازدادت البلاط الموحدي بكبار الفلاسفة، وخاصة في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وقد ارتبط ازدهارها بموقف خلفاء الموحدين منها، ففي عهد الخليفة المذكور، ازدهرت بفضل تشجيعه الذي سمت نفسه إلى دراستها وتعلم

---

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 505.

[2]- المنوني: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[3]- بواعة نجادي: الرسالة السابقة، ص132.

[4]- إبراهيم بن مراد: بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص271.

[5]- عبد الله شريط: مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (ب ط)، 1985، ص 16.

علومها[1] يقول المراكشي: "ثم طمح به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة فجمع كثيرا من أجزائها، وأمر كذلك بجمع كتبها"[2]، وقرب إليه الفلاسفة، وكان يجري عليهم المرتبات من خزانة الدولة، فالفيلسوف أبو بكر طفيل أحد الفلاسفة المسلمين كان من المقربين للخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وكان ابن طفيل يأخذ مرتبا مع غيره من موظفي الدولة، وكان الخليفة لحبه له، ورغبته في مناقشته يحتجزه في قصره أياما ليلا ونهارا.[3]

وفي خلافة المنصور الموحدي، ظلت الفلسفة تحتل مكانها اللائق بين العلوم، غير أن هذه المكانة أصابها الاضطراب، وذلك بعد النكبة التي حلت بالفيلسوف بن رشد، وغيره ممن يشتغلون بعلوم الفلسفة، وقد اختلفت الآراء في الأسباب الداعية لذلك، فالمراكشي يرجع ذلك إلى أن ابن رشد في إحدى مؤلفاته لم يلتزم جانب الأدب في الحديث عن الخليفة الموحدي.[4]

ولا يمكننا الحديث عن الفلسفة التي تناولت الطبيعة دون أن نتطرق إلى مسألتين الأولى وهي أن الإعتناء بالفلسفة لم يكن مطردا أيام الموحدين، وموقف يعقوب المتناقض منها معرف، والمأمون كان منحرفا عنها على طول الخط، وقد أدى به هذا إلى قتل الفيلسوف الأندلسي ابن حبيب لأجل اشتغاله بهذا العلم، أما المسألة الثانية فتناول فيها ما ورد في تاريخ الآداب العربية للأستاذ جرجي زيدان، فقد نسب فيه للمهدي بن تومرت كتاب "كنز العلوم في الفلسفة الطبيعية والشريعة" وذكر أنه توجد نسخة منه في الخزانة التيمورية بالقاهرة، والغالب أن هذا الكتاب ليس للمهدي بن تومرت، فإنه لم ينسبه له أحد ممن ترجم له.[5]

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص507.

[2]- المراكشي: المصدر السابق، تح، محمد سعيد العريان، القاهرة، 1949م، ص238.

[3]- حسن علي حسن: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 508.

[5]- المنوني: المرجع السابق، ص ص 72-73.

5. الرياضيات:

دعت حاجة البناء والتعمير التي شهدتها المنطقة المغربية إلى تخصص بعض العلماء في دراسة الهندسة والجبر، والحساب[1]، حتى يسدوا النقص الموجود بالبلاد وقد استعان بهم ولاة الأمر في عمليات البناء الكثيرة التي تمت بجانب المهندسين والفنيين.[2]

وقد كان للعلوم العددية نهضة في عهد الموحدين، نشطوها بتقديرهم لهذا العلم تقديرا كبيرا، وكان هذا العلم من العلوم تدريسها عندهم، وممن اشتغل بتدريسها الإمام أبو العباس السبتي الذي كان يعلم الحساب والنحو، ويأخذ على ذلك أجرة، وأبو الحسن على بن محمد القيسي القرطبي (ت 601هـ)، استقر بفاس وسكنها مدة، حيث درس الحساب الذي كان بصيرا به، له فيه تأليف سماه "اللباب في مسائل الحساب"، وممن اشتهر به أيضا عبد المنعم بن محمد المراكشي، كان إلى جانب معرفته بالعربية والآداب حيسوبيا، وأبو عبد الله بن علي الفاسي (ت 662هـ)، كان إماما في هذا الفن مقدما له في إقامة البرهان عليه.[3]

كما أن فن الجبر والمقابلة، يعتبران رائجان في هذا العصر، ومن رجاله، أبو عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين الفاسي (ت 601هـ)[4]، ألف في هذا الفن منظومته التي تجاوزت شهرتها بالمغرب، وهي مخطوطة محفوظة في المكتبات، كما ألف أرجوزته الأخرى في أعمال الجذور، توجد نسخة خطية منها بخزانة الاسكوريال.

أما علم الهندسة فقد شجعه الخلفاء الموحدون أثناء فترة حكمهم، ولقد كثر المهندسون كثرة فائقة من بينهم المهندس الشهير أبو جعفر أحمد بن حسان القضاعي المغربي

---

[1]- يحي بوعزيزة: الموجز في تاريخ الجزائر، المطبوعات الجامعية الجزائر، ج1، 1995م، ص164.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 505.

[3]- المنوني: المرجع السابق، ص 74.

[4]- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ص 237.

(ت 598هـ)[1]، وهو الذي أسس الشكل الهندسي لاستخراج القبلة ليعقوب المنصور بمراكش، وكذلك جامع حسان بالرباط، وكذا المهندس الحاج يعيش المعروف بالأحوص المالقي الذي أشرف على بناء حبل طارق مع الشيخ أبي إسحاق بزار بن محمد، وهو الذي تولى صنع المقصورة الميكانيكية والمهندس البناء أبو عمران موسى ابن الحسن، وكانت الهندسة الميكانيكية شائعة، في هذا العهد بالمغرب وممن ألف فيها من المغاربة أبو علي المراكشي، له كتاب في القطوع المخروطية، وفي كتابة "جامع المبادئ والغايات" يدرس خاصيات القطوع، ويحسب محاورها بالتبع إلى الأغراض وميلان الشمس، وعلو المقياس.[2]

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 505.

[2]- المنوني: المرجع السابق، ص76.

خاتمة

لقد حرص الخلفاء الموحدون على دعم العلوم بمختلف أنواعها، خلال فترة حكمهم بالمغرب الإسلامي، وكانت الدراسات الدينية المتنوعة هي المنهج الأساسي الذي درسها أبناء هذه الأمة، وقد توصلت من خلال بحثي هذه المجموعة من النتائج سأذكر أهمها:

- من أهم العوامل التي ساعدت على قيام الدولة الموحدية هي العامل الديني، الذي يتجلى في دعوة المهدي بن تومرت التي اتخذت من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أداة لها، وجعلت التوحيد شعارا لها، وبذلك استطاعت نشرها في جميع أنحاء بلاد المغرب، وبلاد الأندلس أيضا.

- ساعد انتشار الدعوة الموحدية طابع التجديد الذي جاءت به مثل فكرة المهدوية التي ابتدعوها ونشرهم عقيدة مبتكرة، جاءت عبارة عن خليط من العقائد التي كانت سائدة في ذلك الوقت كالأشعرية والظاهرية، مما سهل التفاف الناس حولهم، رغم اختلاف انتماءاتهم المذهبية وعقائدهم ومسلماتهم.

- كان فضل الموحدين على العلوم والمعارف عظيما، عن طريق تشجيعهم للعلم والعلماء، وفتحهم المجال أمام علوم لم تكن رائجة أو كان رواجها محظورا في العهد المرابطي، كما شجعوا المعارف التي كانت شائعة في عهدهم تشجيعا ماديا ومعنويا وتفننوا في ذلك.

- نشطت الحركة الفكرية بالمغرب الإسلامي على عهد الموحدين، ونتج عن ذلك تعدد المراكز الفكرية، وانتشار المدارس والمساجد وغير ذلك.

- ازدهرت الآداب والعلوم العقلية والنقلية في هذا العهد، كما اهتم الموحدون بالفلسفة، التي كان اهتمام المسلمين بها في أصقاع أخرى شبه منعدم نظرا لأصولها اليونانية الوثنية، التي تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي، ومنحوها طابعا إسلاميا.

■ وفي الختام نقول، أن بلاد المغرب الإسلامي، عاشت أزهى عصورها على عهد الموحدين، فازدهرت العلوم والمعارف المختلفة، وانتشرت مراكز الإشعاع العلمي، وأصبحت بلاد المغرب قبلة للعلم، يؤمها الطلبة من أصقاع مختلفة، ولمعت أسماء لعلماء أفذاذ خدموا الحضارة الإسلامية.

الإملاء

المصادر والمراجع

أ. المصادر:

- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة –الرباط- 1973.
- ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن الجزري)، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر – بيروت- الجزء 11، 1966.
- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن يوسف الأزدي)، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة –القاهرة- القسم الأول، 1966.
- ابن القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة –الرباط- (ب ط)، 1973.
- ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر –تونس- 1984.
- ابن خلدون،(أبو زيد عبد الرحمان بن محمد)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار ملوك العرب، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر –بيروت- الطبعة الأولى، 1967.
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد)، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، مطبعة بولا قا - القاهرة -1399.
- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق د. حسان عباس، دار الثقافة –بيروت- لبنان، 1965.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار المغرب الإسلامي – بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1985.
- أبو الحسن الجزنائي، زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق، عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية –الرباط- الطبعة الثانية، 1991.
- أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار الآفاق الجديدة –بيروت- الطبعة الثانية، 1991.

- الإدريسي (عبد الله بن عبد العزيز)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب – بيروت- الطبعة الأولى، 1989.
- البكري (أبو عبيد الله عبد العزيز)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي –القاهرة- (ب ط)، (ب ت).
- البيدق (أبو بكر علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، المطبعة الملكية –الرباط- الطبعة الثانية، 2004.
- الحموي (ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة –لبنان- الجزء5، 1979.
- الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية –لبنان- 1979.
- الذهبي شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة الثانية، 1402 هجري.
- الزركشي (عبد الله بن إبراهيم اللؤلؤي)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، مطبعة الدولة التونسية المحروسة، الطبعة الأولى، 1289.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان أبو الفضل)، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، الجزء1، 1981.
- المراكشي (محي الدين عبد الواحد بن علي التجيني)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المكتبة العصرية –بيروت- الطبعة الثانية، 2006.

ب. المراجع:

- الإبراهيمي موسى إبراهيم: تأملات قرآنية، بحث منهجي في علوم القرآن، دار عمار الشهاب –الجزائر- (ب ط)، 1988.

- ابن مراد إبراهيم: بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، دار الغرب الإسلامي، -بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1991.
- بوعزيزة يحيى: الموجز في تاريخ الجزائر، المطبوعات الجامعية –الجزائر- الجزء الأول، 1995.
- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، دار السلمي -الدار البيضاء- الطبعة الأولى، 1960.
- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، مكتبة الخانجي - مصر- الطبعة الأولى، 1980.
- سلمان داوود بن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، من محاضرات الملتقى التاسع للفكر الإسلامي، تلمسان، (ب ط)، 1975.
- شريط عبد الله: مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر- (ب ط)، 1985.
- الصلابي علي محمد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة - بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، 2005.
- عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، مؤسسة شباب الجامعة -الإسكندرية- الجزء2، الطبعة الأولى، 1984.
- علام عبد الله علي: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف – مصر- (ب ط)، 1971.
- عنان محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس "عصر الموحدين"، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر –القاهرة- الطبعة الأولى، 1964.
- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الفقه الأندلسي دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1977.

- ليفي بروفتسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: الدكتور عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمي وراجعه: الدكتور لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية- (ب ط)، 1985.
- مرعي خلف الله ابتسام: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف – جامعة الإسكندرية- (ب ط)، 1985.
- المنوني محمد: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء –المغرب- الطبعة الأول، 1989.
- الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- الجزء2، (ب ط)، (ب ت).

د. الرسائل الجامعية:

- بن ميدون فضيلة: الجانب الحضاري والفكري في عهد الدولة الموحدية، رسالة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2011.
- بوداعة نجادي: الحياة الفكرية في الأندلس على عهد الموحدين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2010.
- راكة عمر: علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية والممالك المسيحية في الأندلس، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2011.
- ميكيوي محمد: العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2008.

ج. القواميس:

- الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، الجزء1، 1999.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

- كلمة شكر ..... أ
- إهداء ..... ب

مقدمة **01**

مدخل

- تأسيس الدولة الموحدية **04**
- المراحل التي مرت بها حتى سقوطها **08**
- مقومات الحياة العلمية والثقافية في بلاد المغرب على عهد الموحدين **20**

الفصل الأول:

المراكز العلمية والمؤسسات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: المراكز العلمية **22**

- بجاية **22**
- تلمسان **24**
- فاس **26**
- مراكش **28**

المبحث الثاني: المؤسسات الثقافية والعلمية **29**

- الكتاتيب **29**
- المساجد **31**
- المدارس **33**

الفصل الثاني:

العلوم التي انتشرت في عهد الموحدين

المبحث الأول: العلوم النقلية **36**

- علوم القرآن والتفسير **36**
- علوم الحديث **42**
- الفقه **44**
- علم الكلام **47**
- علوم اللغة وآدابها **49**

المبحث الثاني: العلوم العقلية **52**

- التاريخ **52**
- الجغرافيا **55**
- الطب والصيدلة **57**
- الفلسفة **59**
- الرياضيات **61**

خاتمة **63**

ملاحق **65**

قائمة المصادر والمراجع **67**

فهرس الموضوعات **71**